

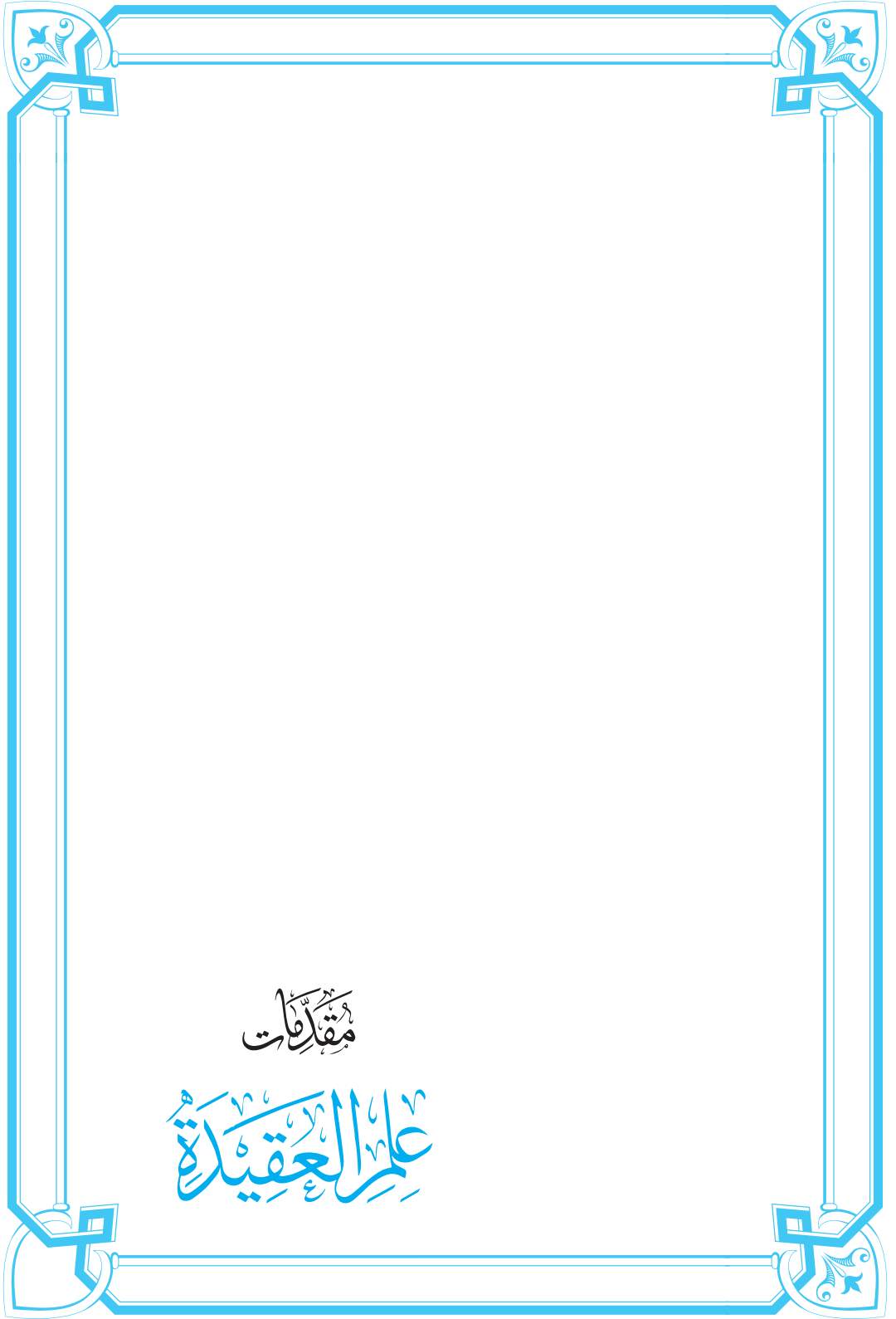
مَقَالَات

# عَلَّمَ الْحَقِيقَةَ

إعداد

أ. د. عابد بن عبد الله الشيتي





مَقَالَات

عِلْمِ الْحَقِيْقَةِ

ح) عابد عبد الله الثبيتي، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثبيتي، عابد بن عبد الله

مقدمات علم العقيدة / عابد بن عبد الله الثبيتي - ط.٢ - الطائف، ١٤٤٤هـ.

١٦٧ ص، ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٢-٦٣٥٧-٤-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية

أ. العنوان

١٤٤٤/١١٧٤٧

ديوي: ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٤٤/١١٧٤٧

ردمك: ٢-٦٣٥٧-٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية: ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

حقوق التأليف والنشر والترجمة لهذا الكتاب غير محفوظة ولا تنطبق

عليه مواد نظام حقوق التأليف والنشر شريطة الإبقاء على اسمه

واسم مؤلفه وعدم التغيير في مضمونه

مَقَالَات

عَلَّمَ الْعَقِيدَةَ

إعداد

أ. د. حبيب بن عبد الله السبيعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، من جاء بالاعتقاد الحقّ والشريعة الكاملة المرضية، فما مات حتى تركت أمّته على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

### أما بعد:

فإنّ علم العقيدة أشرف العلوم؛ لأنّه يُعرّف بالله تعالى ويبيّن حقوقه على عباده، ونظرًا لما وقع من الاختلاف في عدد من المسائل العقدية اهتم العلماء ببيان الحق بدليله من المنقول والمعقول، حتى استقر هذا كواحد من العلوم أبرز العلوم الشرعية المعتمدة حين الدراسة والطلب، وصار له مقدمات كسائر العلوم ينبغي للدارس معرفتها قبل دراسة جزئياته، ولهذا حاولت جمعها في كتاب واحد بعبارة واضحة موجزة - حسب الإمكان - وأضفت لها الخرائط الذهنية التي رأيت أنّها تساعد في وضوح المعارف وثباتها لدى من يطلع عليه من القراء الكرام.

وإنّي لأرجو ممن يطلّع على هذا الكتاب أن يسعفني بملحوظاته - التي لا يخلو منها عمل بشري - تسديدًا للكتاب، وله مني خالص الدعاء وجزيل الشكر والامتنان.

### كتبه

**أ. د. عبد الثبتي**

0504705778

*Abed1429@gmail.com*





الوحدة الأولى

الدين واحد

والشرائع متنوعة





## الدين واحد والشرائع متنوعة

### تعريف الدين:

الدين في اللغة مصدر من دان الرجل يدين ديناً: تعبد، والجمع: أديان، يقال: دان بكذا ديانة، وتدين به، فهو دينٌ ومتدين<sup>(١)</sup>.

**والدين في الاصطلاح العام:** كل ما يعتقده الإنسان بقلبه ويخضع له بجوارحه. وهو على هذا حقٌّ وباطل، فالحق: الإسلام فقط، والباطل: ما عداه، كاليهودية والنصرانية والهندوسية والبوذية إلخ.

**وأما في الاصطلاح الشرعي الخاص فهو:** ما شرعه الله تعالى لعباده على ألسنة رسله<sup>(٢)</sup>، وهو الإسلام.

وقد عرّفه بعض العلماء بما يبين مضمونه فقال: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ٢٢]<sup>(٣)</sup>.

### تعريف الشريعة:

**الشريعة لغة:** تطلق على معاني منها: الوضوح والبيان، والمورد العذب الذي

(١) ينظر: الصحاح (٥/٢١١٩)، المصباح المنير (١/٢٠٥).

(٢) ينظر: شرح الطحاوية (ص ٥١٨).

(٣) ينظر: أعلام السنة المشورة (ص ٣٥).

يرده الناس للاستقاء، وُسِّمَتْ بذلك لوضوحها وظهورها، فيقال: شرع الله كذا. أي: أظهره وأوضحه وبينه. وجمعها: شرائع<sup>(١)</sup>.

**واصطلاحاً:** ما خصَّ الله تعالى به كل نبي من أنبيائه من الأحكام التعبدية العملية، كصفات العبادات وأحكام المعاملات والأُنكحة ونحوها. وقد بيَّن الله تعالى ذلك بقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨].

### دين الإسلام واحد والشرائع متعددة:

إنَّه بعد معرفة معنى الدين والشريعة يتبين لنا أنَّ الإسلام دين واحد لا يتغير ولم يتعدد منذ أنزل الله تعالى آدم ﷺ إلى الأرض حتى خاتم أنبيائه محمد ﷺ؛ حيث كانت دعوتهم جميعاً إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده والتسليم لأمره ونهية، ومما يدل على ذلك ما يلي:

**أولاً:** أن الله تعالى وصف الأنبياء بوصف الإسلام فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤].

**ثانياً:** أن الدين الذي شرعه الله لأولي العزم من الرسل وعهد إليهم تبليغه ودعوة الناس إليه واحد، وهو الإسلام، وقد أمرهم جميعاً بإقامته وعدم الاختلاف والتفرق فيه فقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٢)، المصباح المنير (١/ ٣١٠).

**ثالثاً:** صرَّح نوح عليه السلام بأنه أمر بالإسلام فقال الله عنه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

**رابعاً:** وصَّى إبراهيم ويعقوب عليهما السلام بنيهما أن يكونوا من أهل الإسلام، فقال تعالى عنهما: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالِإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ [البقرة: ١٣٠-١٣٣].

**خامساً:** أخبر الله تعالى عن عيسى عليه السلام والحواريين الذين اتبعوه أنهم كانوا على الإسلام فقال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنًا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ (١): أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» (٢).

ففي هذه النصوص دلالة صريحة على وحدة الدين الذي شرعه الله لعباده، وهو الإسلام، وهذا يقتضي أن كل من دان بغيره فدينه غير صحيح، وعمله

(١) إخوة علات: هم من كان أبوهم واحداً وأمهاتهم متعددة، وبنو الأخياف: من كانت أمهم واحدة وأباؤهم متعددون، وبنو الأعيان: من كان أبوهم واحد وأمهم واحدة.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم (٣٤٤٣).

مردود، وهو خاسر في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وأما الشرائع والأحكام العملية فقد اقتضت حكمة الله تعالى ألا تتفق تمامًا في كل شيء؛ بل يشرع لكل أمة من التبعيدات ما يناسب أحوالها، قال ﷺ: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، وهذا يدل على أن الأحكام العملية على أحوال:

**الأول:** أصول العبادات والأخلاق، فهذه متفقة بين الشرائع كلها، ولا يلزم من اتفاقها في الاسم والمشروعية الاتفاق في الصفات عند الأداء والامثال، ومن ذلك ما يلي:

(١) **الصلاة والزكاة**، فهما مشروعتان لجميع الأنبياء وأممهم، ومما يدل على ذلك قول الله تعالى عن عيسى ﷺ: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١].

(٢) **الصيام**، ويدل على مشروعيته لجميع الأمم قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

(٣) **الحج**، فأول من نادى بالحج بعد إعادة بناء البيت إبراهيم ﷺ، فحجَّ وحجَّ الناس معه، ثم حجَّ كل نبي بأمته، قال تعالى: ﴿ وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧]، وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق في سفره للحج فقال: كأني أنظر إلى موسى ﷺ هابطًا من الثنية وله جُؤار إلى الله بالتلبية، ثم أتى على ثنية

هرشى فقال: كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة، عليه جُبة من صوف، خطام ناقته خُلْبَة - يعني: ليف - وهو يلبي <sup>(١)</sup>.

**٤) بر الوالدين،** ويدل على مشروعيته عند الجميع قول الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]، وعن يحيى عليه السلام: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

**٥) الصدق في الأقوال والوعود،** فقد قال الله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، ووصف إدريس عليه السلام بأنه صديق فقال: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

**الثاني:** ما شرع من الأحكام لأمة مخصوصة ولم يُشرع لغيرها، ومن أمثلة ذلك:

**١)** مشروعية نكاح الأخت غير المشاركة في البطن الواحد في عهد آدم عليه السلام، ومشروعية الجمع بين الأختين في النكاح كما في الشريعة التي كان عليها يعقوب عليه السلام.

**٢)** تحريم الغنائم على الأمم السابقة وإباحتها لمحمد عليه السلام وأُمَّته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ سِوَا الرَّؤُوسِ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانَتْ تَنْزِلُ نَارًا مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا» <sup>(٢)</sup>.

### أسباب اختلاف الشرائع:

إنَّ اختلاف الشرائع بين الأنبياء له أسباب مؤثرة فيما يشرع الله لعباده، ومن أبرزها وأكثرها تأثيرًا بعد إرادة الله وحكمته:

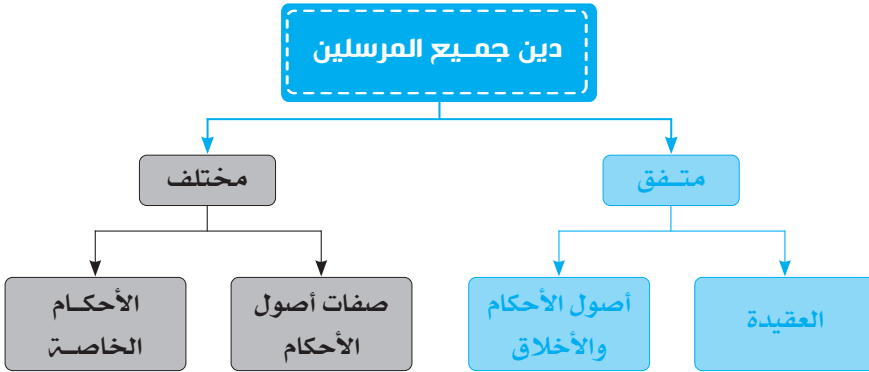
(١) أخرجه مسلم، حديث رقم (١٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي، حديث رقم (٣٠٨٥).

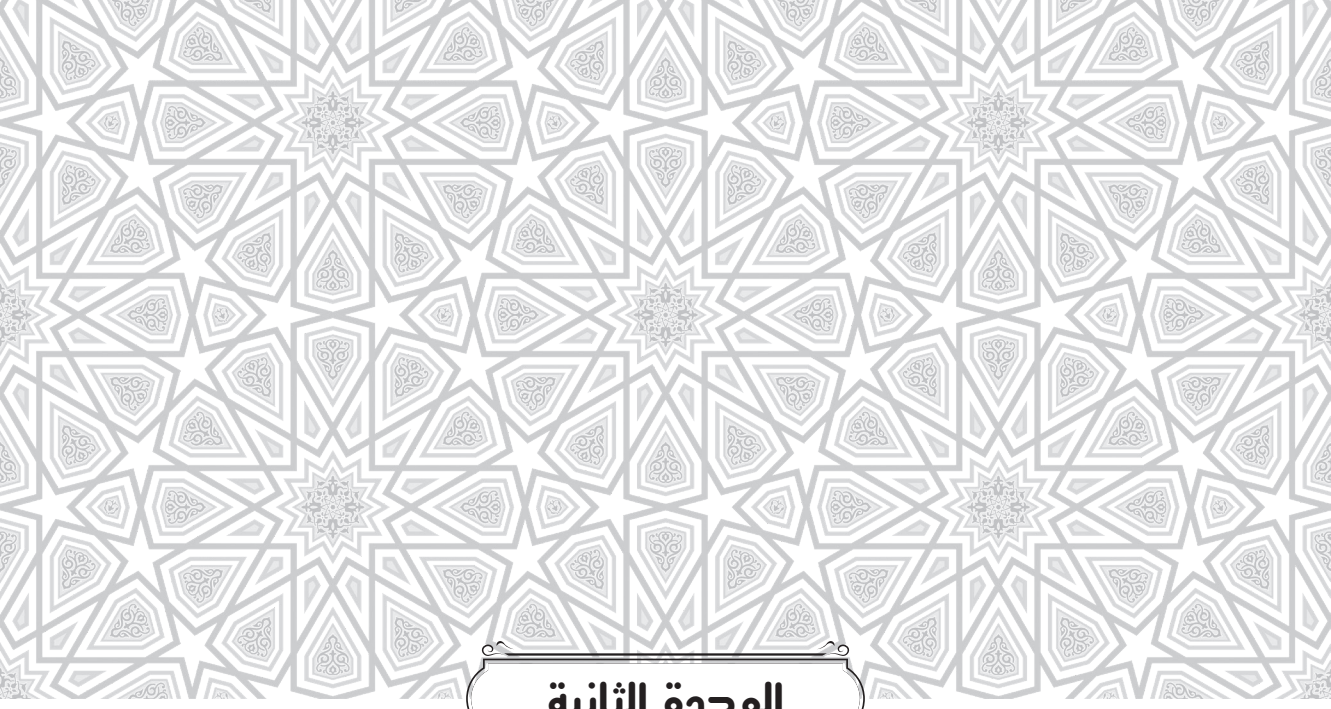
- اختلاف أحوال الأمم من حيث مدى الاذعان والاستجابة للأوامر الربانية وعدمه، فيقتضي ذلك التشديد على المعرض المتثاقل عن الامتثال، والتخفيف عن المبادر المسارع للطاعة، كتحریم الشحوم على بني إسرائيل وحلّها لأمة محمد ﷺ.

- اختلاف الزمان، فما كانت عليه البشرية في أولها اقتضى تشريعات تناسبها، في حين أنّ البشرية لما كثرت انتفت الحاجة لذلك فنسخ التشريع، كما في جواز نكاح الأخت.

- اختلاف طبيعة الشريعة نفسها، فما شرع لقوم أو أمة معينة يختلف عمّا يشرع لعموم البشرية، وما يشرع لأمد محدد سيختلف قطعاً عن ما يشرع للدوام حتى يرث الله الأرض ومن عليها.







الوحدة الثانية



أهل السنة والجماعة





## أهل السنة والجماعة

### التعريف بأهل السنة والجماعة:

يتكون هذا الاسم من ثلاث مفردات، ولا بد من بيان معنى كل مفردة قبل بيان الاسم المركب منها:

**الأهل:** يقال: أهل الدار، أي: أصحابها<sup>(١)</sup>.

**السنة في اللغة:** الطريقة محمودة كانت أو مذمومة<sup>(٢)</sup>.

**وفي الإطلاق الشرعي العام:** الطريقة الماثورة عن النبي ﷺ في جميع النواحي العلمية والعملية.

**الجماعة:** مشتقة من الاجتماع وعدم الفرقة، وقد أمر الناس بها عند كثرة الاختلاف والانحراف، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفضو الكذب، حتى يخلف الرجل ولا يستخلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة، إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحته الجنة، فليلزم الجماعة، من سرته حسنته، وسأته سيئته، فذلكم المؤمن»<sup>(٣)</sup>. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُد الله مع الجماعة»<sup>(٤)</sup>.

(١) المعجم الوسيط (١/ ٣١).

(٢) لسان العرب (١٣/ ٢٢٠).

(٣) أخرجه الترمذي، حديث رقم (٢١٦٥)، وصححه الألباني.

(٤) المصدر نفسه، حديث رقم (٢١٦٦)، وصححه الألباني.

وقد تعددت أقوال العلماء في تفسير الجماعة المذكورة في الأحاديث على

خمسة أقوال، هي:

١. السواد الأعظم من أهل الإسلام: وهم الناجون من الفرق، فما كانوا عليه من أمر الدين فهو الحق، ومن خالفهم فمات فميتة جاهلية، سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق، ومن قال بهذا أبو مسعود الأنصاري وابن مسعود رضي الله عنهما.

٢. جماعة أئمة العلماء المجتهدين: فمن خرج مما عليه علماء الأمة مات ميتة جاهلية لأن جماعة العلماء جعلهم الله حجة على العالمين وهم المعنيون بقوله رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»<sup>(١)</sup>، وذلك أن العامة تأخذ دينها عنهم، وإليهم تفرع عند النوازل، وهي تبع لهم. ومن قال بهذا: عبدالله بن المبارك وإسحاق ابن راهويه وجماعة من السلف وهو رأي الأصوليين. فعلى هذا القول لا مدخل لمن ليس بعالم مجتهد؛ ولا أحد من المبتدعين؛ لأن العالم لا يتدع، وإنما يتدع من ادعى لنفسه العلم وليس بعالم.

٣. الصحابة على الخصوص: فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً. ومن قال بهذا القول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

٤. جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر: حيث يجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم، وهم الذين ضمن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم على ضلالة، فإن وقع بينهم اختلاف فيجب البحث الصواب فيما اختلفوا فيه. وكأن هذا القول يرجع

(١) أخرجه الترمذي، حديث رقم (٢١٦٧)، وصححه الألباني.

إلى الثاني وهو يقتضى أيضا ما يقتضيه، أو يرجع إلى القول الأول وهو الأظهر، وفيه من المعنى ما في الأول من أنه لا بد من كون المجتهدين فيهم.

**٥. جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير:** وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث.

**الخلاصة:** هذه الأقوال الخمسة تدور حول أصلين مهمين في تحديد المقصود بالجماعة: الأول: أهل الحرص على السنة والاتباع، والثاني: أهل العلم والاجتهاد. ومنهما يتبين أن الجماعة هم: العلماء المجتهدون المتبعون للسنة والأثر.

ولا يشكل على هذا ذكر العامة، فإن ذكرهم هنا على احتمال اقتدائهم بالعلماء المجتهدين وموافقتهم لهم، وإلا لو خالفت العامة المجتهدين لم يكن لخلافهم أثر لفقدهم العلم. وأيضا لو خلا العصر عن المجتهدين فالعبرة بمن يقتدي بالمجتهدين السابقين المتبعين للحديث والأثر<sup>(١)</sup>.

ومن هنا علم أنه إذا قرن لفظ السنة مع الجماعة كقولنا: أهل السنة والجماعة فيكون المراد بهم: الذين اجتمعوا على الأخذ بالطريقة المأثورة عن النبي ﷺ في الاعتقاد والقول والعمل، والالتزام بها ظاهرا وباطنا.

### سبب تسميتهم بأهل السنة والجماعة:

يرجع سبب وصفهم بأهل السنة والجماعة لأمرين متلازمين:

**الأول:** التمسك بالسنة، والعمل بها ظاهرا وباطنا.

**والثاني:** الاجتماع على تلك السنن، وعدم الافتراق فيها.

(١) ينظر: الاعتصام (٢/ ٢٦٠-٢٦٦) بتصرف.

وإنما نشأت التسمية بأهل السنة والجماعة لما أهمل بعض الناس السنن والآثار وانصرفوا إلى علم الكلام والغلو في العقل، أو الغلو في الأشخاص وجعل أقوالهم مصدرا للدين، فظهرت البدع حينئذ وعلا شأن أصحابها، وانقسم المسلمون تبعا لذلك إلى فرق، لكل فرقة منها أصول خالفت فيها الحق، فصار المتمسكون بالماثور عن النبي ﷺ وأصحابه، المجتمعون عليه يوصفون بأهل السنة والجماعة.

### ألقاب أهل السنة والجماعة وأسمائهم:

اشتهر أهل السنة والجماعة عبر التاريخ الإسلامي بأسماء وألقاب تطلق عليهم يُعرفون بها، ومن أشهرها ما يلي:

#### الأول: السلف:

**السلف في اللغة:** المتقدم، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أي: يتجاوز عما تقدم من ذنب<sup>(١)</sup>.

**واصطلاحاً هم:** الصحابة والتابعون ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم من الأئمة.

فالصحابه هم رأس السلف وقدوتهم، وكل من جاء بعدهم واعتقد اعتقادهم وسار على نهجهم فهو من السلف، فالتابعون وأتباعهم الموافقون لهم منهم، ومن جاء بعدهم من الأئمة العلماء غير من ذكروا سابقاً كالدارمي وابن جرير الطبري وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من أئمة المسلمين داخلون في وصف السلف؛ لأنهم سائرون على طريقتهم وسالكون منهجهم.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٩٥)، مختار الصحاح (ص ١٥٢).

**الثاني: أهل الحديث:**

**الحديث في اللغة:** ضد القديم، ويطلق أيضًا على الكلام كثيرًا كان أو قليلًا<sup>(١)</sup>.

**واصطلاحًا:** كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية<sup>(٢)</sup>.

**وأهل الحديث:** هم المتمسكون بالمأثور عن النبي ﷺ المتبعون للأثر عن الصحابة والتابعين، ولهم عناية خاصة بأحاديث النبي ﷺ جمعًا وحفظًا ورواية، وفهْمًا وعملاً في الظاهر والباطن<sup>(٣)</sup>.

فأهل الحديث هم أسعد الناس بالصواب وموافقة الحق الذي شرعه الله لعباده، وذلك لتمسكهم بالوحي ومحكمة كل رأي أو استحسان إليه فإن قبله عملوا به وإن أنكره تركوه، فآل بهم هذا المنهج إلى الاتفاق والسلامة من الاختلاف والتفرق.

**تنبيهات:**

ينبغي التنبيه على ثلاثة أمور تتعلق بأهل السنة والجماعة، وأسمائهم:  
**أولاً:** أن أهل السنة والجماعة ليسوا محصورين في بلد معين أو زمان معين أو حزب محدد، إذ كل من اتَّصف بصفاتهم، وكان على منهجهم اعتقادًا وقولًا وعملاً فهو منهم، سواء كان من المتقدمين أو المتأخرين أو المعاصرين.

(١) ينظر: الصحاح (١/٢٧٨).

(٢) ينظر: فتح المغيث (٣/١٠).

(٣) أشار لهذا اللالكائي وابن كثير رَحِمَهُمَا اللهُ. ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٤١)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٣١٧).



### ثانياً: أن منهج السلف يشمل ثلاثة جوانب:

(١) المدة الزمنية المحدودة بالقرون الثلاثة المفضلة الذين قال عنهم النبي ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِيْنَ يُلُونِي، ثُمَّ الَّذِيْنَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يُلُونَهُمْ»<sup>(١)</sup>، وهؤلاء هم: الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين.

(٢) الطريقة العلمية المنهجية المسلوكة لتعلم الدين والعمل به.

(٣) الأشخاص الذين يعتقدون اعتقاد الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ويلتزمون طريقتهم ويعملون على وفق منهجهم ممن جاءوا بعد القرون المفضلة.

**ثالثاً: يخرج عن وصف السلف:** الأشخاص الذين تلبسوا بالبدع ودعوا الناس إليها. والجماعات والفرق اللاتي اشتهرت بأفعال غير مرضية أو بألقاب خاصة غير مقبولة كالخوارج وأهل الكلام والشيعة والصوفية ونحوها<sup>(٢)</sup>.

### الثالث: الفرقة الناجية والطائفة المنصورة:

أخذ هذا الوصف لأهل السنة والجماعة من حديثين ثابتين عن النبي ﷺ:

**الأول:** قوله ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَأِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قيل: يا رسول الله: من هم؟ قال: «الْجَمَاعَةُ»<sup>(٣)</sup>. وذكرهم في رواية أخرى بقوله:

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٥٣٣).

(٢) ينبغي التفريق بين السلفية التي هي امتداد لطريقة الصحابة والتابعين وأتباعهم في الاعتقاد والعمل، والأحزاب السياسية التي تصف نفسها بالسلفية، فلا تتحمل الأولى ما يصدر عن الثانية من أخطاء ومخالفات وما تستجلبه من خصومات وعداوات.

(٣) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم (٣٩٩٢)، وصححه الألباني.

«مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»<sup>(١)</sup>. فتلخّص من هذا: أنهم فرقة واحدة من ثلاث وسيبعين فرقة، وأنها هي الناجية من بينها جميعاً، ووصفوا بوصفين: أنهم هم الجماعة، وأنهم من كانوا على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه.

**الثاني:** قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>. ففي هذا الحديث أخبر ﷺ بأنهم طائفة ظاهرة معروفة منصوره محفوظة إلى أن تقوم الساعة.

وقد فسّر الأئمة هذه الطائفة فقال البخاري: هم أهل العلم. وقال أحمد ابن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم.

وكما ثبت وصفهم في الأثر بالطائفة المنصورة ثبت ذلك في الواقع، إذ ما زالوا منصورين في اعتقادهم بقوة حجّتهم وصحة استدلالهم ووضوح براهينهم، فلا يناظرون أحداً إلا ظهروا عليه بصحة الدليل، ولا تأت شبهة إلا ويقيض الله لها منهم من يكسرها على سنن الكتاب والسنة.

### خصائص أهل السنة والجماعة:

إنَّ أهل السنة والجماعة يتميزون عن غيرهم بخصائص وسمات كثيرة من أبرزها:

١. العناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية تعلُّماً وتعليماً، حفظاً ومدارسه واستدلالاً، ويكون ذلك بقراءة القرآن قراءة صحيحة وحفظ ما تيسر منه مع العمل بمضمونه اقتداءً بهدي النبي ﷺ في تربية أصحابه، قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: «حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقرئون

(١) أخرجه الترمذي، حديث رقم (٢٦٤١)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم (٧٣١١)، ومسلم، حديث رقم (١٩٢٠).

من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل»<sup>(١)</sup>. وكان النبي ﷺ يحث على مدارس العلم وخاصة القرآن ويقول: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وقد تعلم الصحابة رضي الله عنهم الدين - كتاباً وسنةً - من رسول الله ﷺ ثم علموه الناس من بعد، ومن أولئك الأصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: «والذي لا إله غيره، لقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته»<sup>(٣)</sup>.

وكانوا رضي الله عنهم يوصون بهذا المنهج التابعين لهم بإحسان، فعن أبي الشعثاء أن ابن عمر رضي الله عنهما لقيه في الطواف فقال له: يا أبا الشعثاء، إنك من فقهاء البصرة، فلا تُفْتِ إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية؛ فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلك»<sup>(٤)</sup>.

٢. الإيثار بجميع الكتاب، والعمل بالدين كله، ظاهره وباطنه، فهم يؤمنون بنصوص الوعد والوعيد جميعاً، وبنصوص الإثبات والتنزيه على حد سواء، ويجمعون بين الإيمان بقدر الله وإثبات إرادة العبد ومشيتته وفعله، كما يجمعون بين العلم والعبادة، والقوة والرحمة، والتوكل على الله مع العمل والأخذ بالأسباب، والزهد في الدنيا مع السعي للكسب الحلال ترفعا عن الحاجة للناس... إلخ.

(١) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم (٢٣٤٨٢) وحسنه المحقق الأرناؤوط.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٦٩٩).

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء (١/٤٧٢).

(٤) أخرجه الدارمي، حديث رقم (١٦٤)، وحسن إسناده حسين سليم أسد.

٣. الاتباع وترك الابتداع: وقد تضافرت النصوص الشرعية الموجبة للاتباع وترك الابتداع والتكلف الذي لم يأذن الله به، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَوُا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١]، قال ابن تيمية رحمته الله: الله أوجب على جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله، ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل، فعلى جميع الخلق اتباعه واتباع ما شرعه من الدين، وهو: الشرع الذي يجب على جميع الخلق اتباعه، وليس لأحد الخروج عنه، وهو الشرع الذي يقاتل عليه المجاهدون، وهو الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.

وحقيقة الاتباع المأمور به شرعاً أن يفعل العبد مثل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، على الوجه الذي فعل، لأجل أنه فعل. قال ابن تيمية رحمته الله: «المتابعة: أن يفعل مثل ما فعل، على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلاً على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان بالعبادة خصصناه بذلك؛ كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة، وأن يستلم الحجر الأسود، وأن يصلي خلف المقام، وكان يتحرى الصلاة عند أسطوانة مسجد المدينة، وقصد الصعود على الصفا والمروة والدعاء والذكر هناك، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما. وأمّا ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده - مثل أن ينزل بمكان ويصلي فيه لكونه نزله لا قصدًا لتخصيصه به بالصلاة والنزول فيه - فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه أو النزول لم نكن متبعين؛ بل هذا من البدع التي كان ينهى عنها عمر بن الخطاب. ثبت بالإسناد الصحيح من حديث شعبة عن سليمان التيمي عن

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٥/٣٥)، بتصرف يسير.

المعروف بن سويد قال: كان عمر بن الخطاب في سفر فصلَّى الغداة، ثم أتى على مكان فجعل الناس يأتونه فيقولون: صلَّى فيه النبي ﷺ. فقال عمر ﷺ: (إنَّما هلك أهل الكتاب أنَّهم اتَّبَعُوا آثارَ أنبيائهم فاتخذوها كَنائسَ وبيعاً، فمن عرضت له الصلاة فليصلِّ وإلا فليمض)»<sup>(١)</sup>.

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى دعوة شاملة للعقائد والعبادات والأخلاق والسلوك وكل أمور الحياة عملاً بقوله ﷺ: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٥. العمل بالعلم، فكل من علم أمراً من أمور الدين لزمه العمل به<sup>(٢)</sup>، والعلم سابق على العمل كما هو معلوم من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، قال ابن سعدي ﷺ: «العلم لا بد فيه من إقرار القلب، ومعرفةً بمعنى ما طلب منه علمه، وتامه أن يعمل بمقتضاه»<sup>(٣)</sup>.

وأخبر النبي ﷺ أن من الأربع التي يُسأل عنها العبد يوم القيامة: «عن علمه ماذا عمل فيه»<sup>(٤)</sup>. وهذا يدل على أن العلم يقتضي العمل به. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه، وويل لمن يعلم ولا يعمل

(١) المصدر نفسه (١/٢٨١، ٢٨٠).

(٢) اللزوم على حسب الحكم، فالواجب يلزم امتثاله وجوباً، والمحرم يلزم الكف عنه وجوباً، والمندوب يلزم فعله استحباباً، والمكروه يلزم تركه استحباباً.

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٨٧).

(٤) أخرجه الترمذي، حديث رقم (٢٤١٧)، وصححه الألباني.

- سبع مرات -<sup>(١)</sup>. وهذا المعنى دلَّ عليه قول الله تعالى لما أنكر مخالفة الأعمال للأقوال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

٦. الحرص على تأليف قلوب المسلمين وجمع كلمتهم على الحق، إذ أن الاعتصام بالجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف من المسائل القطعية المجمع عليها عند الأئمة. وقد أوجبها الله تعالى على المؤمنين فقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وأمر بالاعتصام بالوحي فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وليعلم أن الذي ينبغي أن يجتمع الناس عليه هو تعظيم الكتاب والسنة والإجماع وموافقتها، فكل من وافقنا في تعظيم هذه الثلاثة والعمل بها وتحكيمها وجبت موافقته ومناصرته، ومن خالفها فهو من أهل الافتراق؛ وليس الاتفاق معه بمحمود شرعاً ولا عقلاً، لأنه لا سبيل إلى الاتفاق معه إلا بردّ بعض ما في الكتاب والسنة أو تجاوز الإجماع، وهذا هو الضلال بعينه.

٧. الوسطية والاعتدال في الأمور كلها، فالتوسط سمة الشريعة المنزلة على محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

(١) الزهد لابن حنبل (ص ١٥٨).

وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿البقرة: ١٤٣﴾. قال الكلبي رضي الله عنه: «يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير؛ لأنَّهما مذمومان في الدين»<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُ حَتَّى تَمَلُّوا»<sup>(٢)</sup>. والقصد هنا هو: الوسط المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي التفریط والإفراط<sup>(٣)</sup>. وعند البخاري: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَدُّوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرَوْحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»<sup>(٤)</sup>. قال ابن الأثير: في معناه: «أي: عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل، وهو الوسط بين الطرفين»<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن سعدي رضي الله عنه: «جعل الله هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين: وسطاً في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطاً في الشريعة: لا تشديدات اليهود وأصارهم ولا تهاون النصارى. وفي باب الطهارة والمطاعم: لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعتهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يجرمون شيئاً؛ بل أباحوا ما دَبَّ ودرج، بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرَّم عليهم

(١) ينظر: تفسير البغوي (١/١٥٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم (٤٢٤١)، وصححه الألباني.

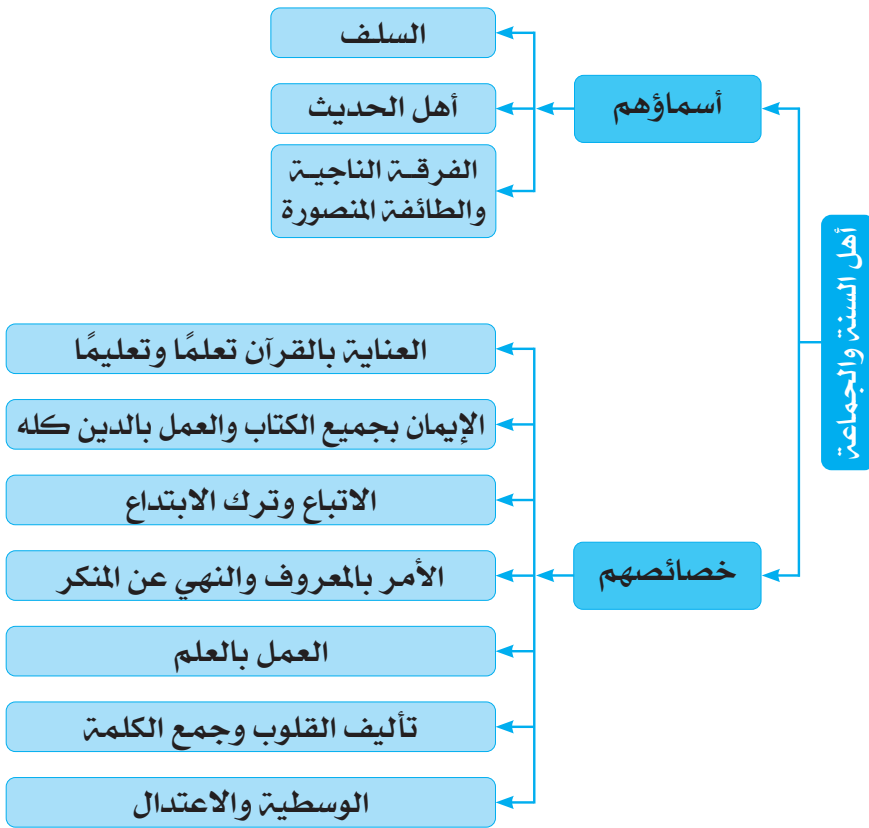
(٣) ينظر: التعليق على سنن ابن ماجه (٢/١٤١٧).

(٤) حديث رقم (٦٤٦٣).

(٥) النهاية في غريب الأثر (ص ٧٥٤).

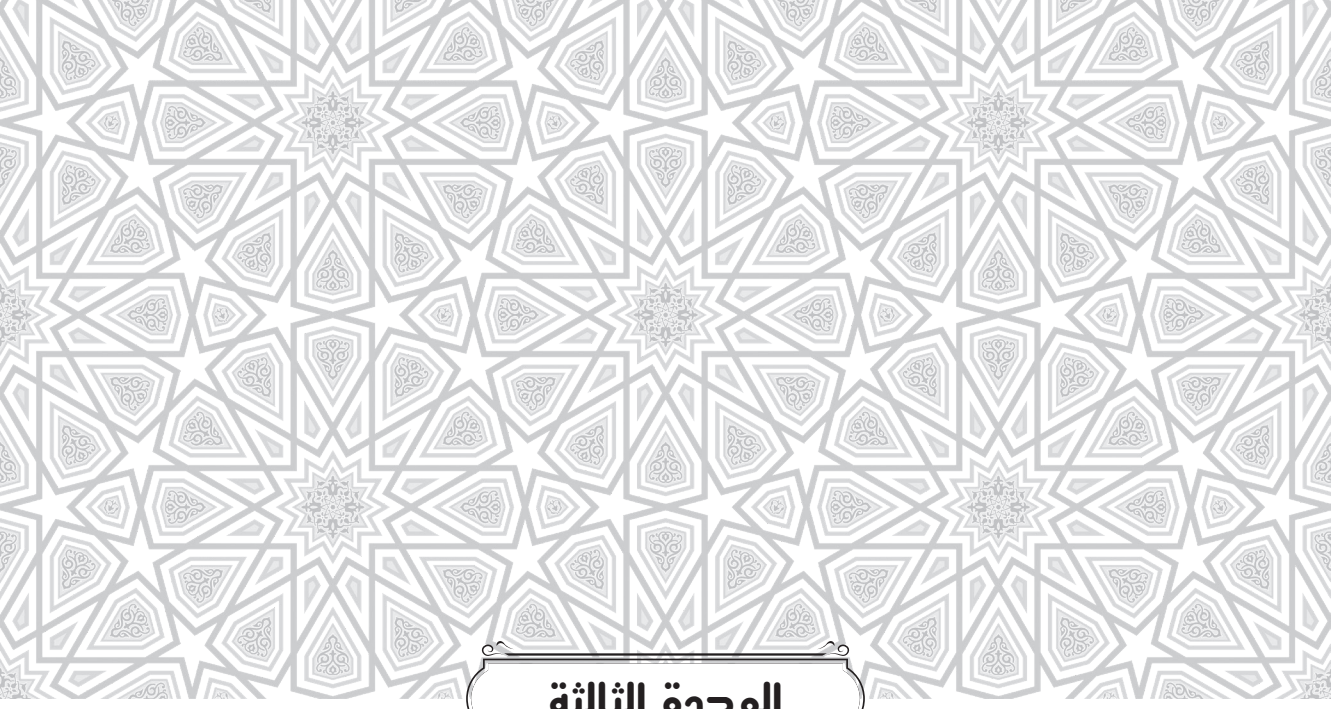


الخبائث من ذلك، فهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها»<sup>(١)</sup>.



(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٠).





الوحدة الثالثة



مبادئ علم العقيدة





## مبادئ علم العقيدة

إنَّه مع كثرة التأليف في المسائل الشرعية الذي دعت له الحاجة مع مرَّ العصور احتاج العلماء لجمع المسائل المتشابهة التي تشترك في باب واحد مع بعضها البعض، فجمعت مسائل القرآن الكريم ومعانيه وأسباب نزوله وكل ما يتعلق به في علم يجمعها، وكذلك فُعل بالسنة النبوية وشرحها، ورواياتها ودرجاتهم، وكل ما يتعلق بذلك أو يتفرع عنه في علم واحد يجمعها.

وكذلك جُمعت النصوص الشرعية المتعلقة بالاعتقاد، وما يتبعها من الأقوال والشروح والردود في مسلك واحد عُرف بعلم العقيدة، وهكذا فُعل بسائر العلوم سواء كانت من العلوم الشرعية أم من غيرها.

وقد اقتضت الحاجة لتمييز العلوم عن بعضها ببيان تعريف كل علم، وأسمائه، وموضوعه وثمرته وغايته، وواضعه، والغاية منه، وفضله، ومصادره، وحكم تعلمه، وصلته بالعلوم الأخرى. وقد عُرفت هذه الأمور بمبادئ العلوم<sup>(١)</sup>.

### \* التعريف بالعقيدة لغة، واصطلاحاً:

**العقيدة لغة:** مأخوذة من العقد وهو: الجمع بين أطراف الشيء وربطه بشدة وإحكام<sup>(٢)</sup>.

(١) نظم بعضهم هذه المبادئ فقال:

إنَّ مبادئ كل علم عشرة: الحد، والموضوع، ثم الثمرة  
وفضله، ونسبته، والواضع  
مسائل والبعض بالبعض اكتفى  
ومن درى الجميع حاز الشرفا

(٢) ينظر: الصحاح (٢/٥١٠)، المصباح المنير (٢/٤٢١).

وفي الاصطلاح العام: كل ما انطوى عليه القلب من الأمور الغيبية وجزم بصدقه الفؤاد. فيدخل في هذا التعريف كل ما يعتقدُه الإنسان سواء كان صحيحاً أو خاطئاً.

وأما في الاصطلاح الخاص فهي: الإيـان الجازم بالله تعالى.

فهي إذن: اعتقاد جازم مطابق للواقع لا يقبل شكاً ولا ظناً، فكل ما لم يصل العلم به إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة، وإذا كان الاعتقاد غير مطابق للواقع والحق الثابت ولا يقوم على دليل، فهو ليس عقيدة صحيحة سليمة، وإنما هو عقيدة فاسدة كاعتقاد النصارى بالوهية عيسى وبالتثليث.

وأما تعريف العقيدة باعتبارها لقباً على علم معين فهي: «العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسب من الأدلة اليقينية، وردّ الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية»<sup>(١)</sup>.

### \* موضوع علم العقيدة:

يتبين من تعريف علم العقيدة أنه يشمل ثلاثة أقسام هي موضوعه:

**الأول: مقدمات علم العقيدة:** وفيها عدد من الموضوعات التي ينبغي لدارس العقيدة معرفتها مثل: التعريف بالإسلام، ووحدة دعوة الرسل ﷺ، والتعريف بأهل السنة والجماعة، وأسمائهم وصفاتهم، ومبادئ علم العقيدة، وتدوينه، ومنهج السلف في تقرير مسأله... إلخ.

وإنَّ المقتضي لهذه المقدمات كون العقيدة صارت علماً يُدرّس، فيُستدل له، ويجاب عن الاعتراضات الواردة عليه، وتدفع الشبه التي تعترى البعض حوله ويرد عليها.

(١) المدخل لدراسة العقيدة، للبريكان (ص ٩).

**الثاني: العقيدة الصحيحة وما يتعلق بها:** وهذا يشمل ثلاثة أمور:

(١) منهج السلف في تقرير مسائل الإيمان وما يترتب عليه، وفيه: تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة والأدلة عليه، ومنزلة العمل من الإيمان وأثره عليه، وأحكام مرتكب الكبيرة، وأحكام أهل القبلة، ونواقض الإيمان ونواقصه، والأسماء والأحكام العقيدية.

(٢) أركان الإيمان وما يندرج تحتها: الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالملائكة، والكتب، والرسول، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما يندرج تحت كل ركن منها من الأقسام والمسائل والدلائل.

(٣) المسائل الملحقة بالعقيدة: كأحكام الإمامة العظمى، والولاية والكرامة، والولاء والبراء، والأحكام المتعلقة بالصحابة رضي الله عنهم، وآل بيت النبي رضي الله عنهم وحقوقهم... إلخ.

**الثالث: العقائد الباطلة وما يتفرع عنها:** ويشمل ثلاثة أمور أيضًا:

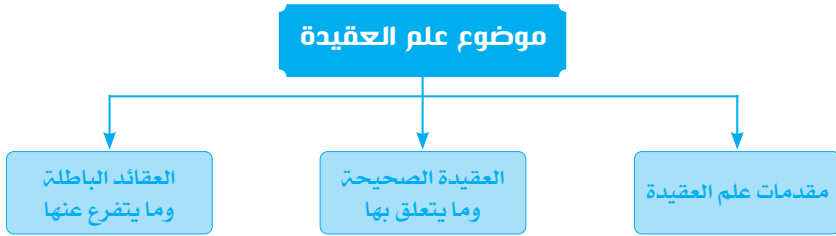
(١) العقائد المخالفة لأصل الإسلام: ويندرج تحتها جميع الأديان، سواء كانت كتابية كاليهودية والنصرانية، أو غيرها كالمجوسية والهندوسية والبوذية... إلخ، وكذلك الفرق المنتسبة للإسلام كالباطنية والبهائية وغيرهما.

(٢) العقائد المخالفة للحق في بعض مسائل الاعتقاد، أو المخالفة لمنهج السلف في الاستدلال، كالخوارج والشيعة بطوائفها، والصوفية بطرقها المتعددة، وجميع الفرق الكلامية... إلخ

(٣) المذاهب والأفكار الناشئة عند غير المسلمين، سواء ارتبطت بأديانهم

كالصهيونية والماسونية والاستشراق والتنصير، أو لم ترتبط بها كالوجودية والليبرالية والعلمانية والديمقراطية... إلخ.

وهكذا فإن كل موضوعات علم العقيدة تنتظم تحت هذه الأقسام الثلاثة.



### \* ثمرة علم العقيدة وغايته:

إنَّ لعلم العقيدة ثمرات جليلة في الدنيا والآخرة، وبيانها في جانبين:

**الأول: الثمرات الدنيوية:** ومن أبرزها ما يلي:

(١) تخلص اعتقاد المسلم وأقواله وأفعاله من الكفر والشرك والبدع، بأن تكون وفق مراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ.

(٢) عصمة دم المسلم وماله وعرضه، قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَاذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

(٣) حصول العبد على ولاية الله تعالى، فالله ﷻ لم يجعل ولايته إلا لأهل الإيمان والتقوى من عباده فقال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٦٢)</sup> الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ [يونس: ٦٢، ٦٣].

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم (٢٥)، ومسلم، حديث رقم (٢١).



٤) انشراح الصدور وتحقق سعادة النفوس بموافقتها للفترة وعدم تناقضها.

٥) تصحيح تصورات المسلم عن الإله والكون والحياة، فهي العقيدة الوحيدة التي تجيب عن الأسئلة الملحة التي تطرأ على القلب: من أنا، ومن أين جئت، ولماذا، وإلى أين أسير.

**الثاني: الثمرات الأخروية:** ومن أبرزها مايلي:

١) الفوز بالجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

٢) نيل رضوان الله الأبدي، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَطْغِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟، فَيَقُولُ: أَحَلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

٣) الشفاعة للأهل والأقارب والأصدقاء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيُحْجُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ»<sup>(٢)</sup>.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، حديث رقم (٦٥٤٩)، ومسلم، حديث رقم (٢٨٢٩).

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم (١٨٣).

## \* أسماء علم العقيدة:

استعمل علماء السلف ﷺ عددًا من الأسماء لعلم العقيدة، وألّفوا تحتها كتبًا في بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة، منها:

## ١. الإيمان:

وهو لغتًا: التصديق<sup>(١)</sup>.

وشرعًا: الإقرار والتصديق الجازم بكل ما أخبر الله به وأخبر به رسوله ﷺ، الموجب لأعمال القلوب، ثم تتبعها أعمال الجوارح<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن جرير الطبري ﷺ: «الإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل»<sup>(٣)</sup>. ويتبين من هذا أن الإيمان يشمل الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وما يندرج تحت هذه الأصول من المسائل الاعتقادية، وهذا هو موضوع علم العقيدة كما مرّ بيانه.

وقد ألّف السلف كتبًا في علم العقيدة تحت هذا الاسم ككتاب: الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب الإيمان لمحمد بن إسحاق ابن منده، وغيرهما.

## ٢. السنة:

سبق أن السنة في اللغة تطلق على الطريقة المسلوكة، وفي الاصطلاح على المأثور عن النبي ﷺ، وإن كان علماء العقيدة يطلقونها على ما يقابل البدعة، فكل اعتقاد أو عمل ثبت عن النبي ﷺ فهو سنة، وما لم يثبت فهو بدعة محدثة في الدين.

(١) تهذيب اللغة (١٥/٥١٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ١٨٧).

(٣) جامع البيان (١/٢٣٥).

وسبب إطلاق اسم السُّنَّة على عقيدة السلف أتباعهم للثابت عن النبي ﷺ في ذلك وما سلكه الصحابة رضي الله عنهم وجعلوه طريقة لهم في فهم الدين والعمل به. ومن أهم كتب العقيدة التي سميت بهذا الاسم، كتاب أصول السنة للإمام أحمد، والسنة لأبي بكر بن الأثرم، والسنة لابن أبي عاصم.

### ٣. التوحيد:

**وهو في اللغة:** مصدر من الرباعي: وَحَّدَ يوحد توحيدًا، وهو إِمَّا جعل الشيء واحدًا، أو اعتقاده واحدًا<sup>(١)</sup>.

**وفي الاصطلاح:** أفراد الله تعالى فيما هو من خصائصه<sup>(٢)</sup>.

**وخصائص الرب تعالى كثيرة:** فهو واحد في ذاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، وحقوقه على خلقه، فيجب توحيدَه فيها جميعًا دون اعتقاد ندٍّ أو شريك أو مثيل له سبحانه فيها.

ومن أبرز كتب العقيدة التي سميت بهذا الاسم كتاب: التوحيد لابن خزيمة، والتوحيد لابن رجب.

### ٤. أصول الدين:

هذا الاسم مركب تركيبًا إضافيًا، ولييان معناه الإضافي لابد من تعريف جزئيه: الأصول، والدين.

**الأصول:** جمع أصل وهو أساسه الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبت منه<sup>(٣)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة (ص ١٨٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ٣٩٥)، والتعليقات على كشف الشبهات (ص ١٥).

(٣) ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٢٠).

**والدين:** ما شرعه الله تعالى لعباده على ألسنة رسله. وقد سبق تعريفه بما يغني عن تكراره هنا.

وأما أصول الدين باعتباره لقباً على علم العقيدة فهو: مسائل الدين التي اتفقت عليها الشرائع مما لا ينسخ ولا يغير سواء كان علمياً أو عملياً<sup>(١)</sup>. ونلاحظ أن هذا التعريف يشمل مسائل العقيدة وغيرها من المسائل العملية التي اتفقت عليها الشرائع، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، فعليه يكون إطلاق السلف أصول الدين على علم العقيدة من باب إطلاق اللفظ على بعض ما يتناوله، وهذا استعمال لغوي معروف.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن لفظ أصول الدين قد اعتراه الإجمال والإبهام حينما استعملته الفرق فأدخلوا فيه من أصولهم البدعية ما ظنوا أنه من أصول الدين فكان سبباً في ضلالهم عن الحق، في حين أن أصول الدين ما ثبت عن الله وعن رسوله ﷺ، قال ابن تيمية رحمته الله: قد تقدم التنبيه على منشأ الضلال ما في ذلك من العبارات المتشابهات المجملات المبتدعات سواء كان المُحدَث اللفظ ودلالته، أو كان المُحدَث: استعمال ذلك اللفظ في ذلك المعني، كلفظ أصول الدين، حيث أدخل فيه كل قوم من المسائل والدلائل ما ظنوه هم من أصول دينهم وإن لم يكن من أصول الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً بعد ذكره لبعض المسائل التي اعتبرها المعتزلة من أصول الدين وهي ليست كذلك كإنكار الرؤية والقول بخلق القرآن ونحوهما: «فهذه داخلة فيما سمّاه هؤلاء أصول الدين؛ ولكن ليست في الحقيقة من أصول الدين الذي شرعه الله لعباده، وأما الدين الذي قال الله

(١) ينظر: التعريفات الاعتقادية (ص ٤٠).

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٧٣).

فيه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] فذاك له أصول وفروع بحسبه، وإذا عُرِفَ أنَّ مسمى أصول الدين في عُرْفِ الناطقين بهذا الاسم فيه إجمال وإبهام لما فيه من الاشتراك بحسب الأوضاع والاصطلاحات تبين أنَّ الذي هو عند الله ورسوله وعباده المؤمنين أصول الدين فهو موروث عن الرسول، وأمَّا من شرع ديناً لم يأذن به الله فمعلوم أنَّ أصوله المستلزمة له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبي ﷺ إذ هو باطل، وملزوم الباطل باطل<sup>(١)</sup>.

وقد أَلَفَ السلف تحت هذا الاسم كتباً في العقيدة من أبرزها كتاب: أصول الدين، لجمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي، والإبانة عن أصول الديانة لابن بطة.

### ٥. الفقه الأكبر:

**الفقه في اللغة:** الفهم والفتنة والعلم، وهو: فهم غرض المتكلم من كلامه<sup>(٢)</sup>، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، أي: لا يفهمون المراد.

فإذا وصف الفقه بالأكبر صار المقصود به الأحكام الاعتقادية، وصار الفقه الأصغر هو فقه الفروع والأحكام العملية، لأنَّ منزلة العقيدة أعلى وأهميتها أعظم من الأحكام العملية؛ بل إنَّ الأحكام العملية لا يقبلها الله تعالى إلا من صحت عقيدته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤].

(١) المصدر نفسه (١/٤١).

(٢) ينظر: التعريفات (ص ٢١٦).

والإمام أبو حنيفة: أول من أُلّف في العقيدة تحت هذا الاسم في رسالته المسماة: الفقه الأكبر، وهي تتضمن مسائل اعتقادية في الأسماء والصفات والإيمان والصحابة والنبوات وغيرها من مسائل العقيدة.

قال علاء الدين البخاري الحنفي معللاً تسمية أبي حنيفة لرسالته بهذا الاسم: «صنف أبو حنيفة في علم التوحيد والصفات كتاب الفقه الأكبر، سماه أكبر لأنَّ شرف العلم وعظمته بحسب شرف المعلوم، ولا معلوم أكبر من ذات الله تعالى وصفاته، فلذلك سماه أكبر»<sup>(١)</sup>.

#### ٦. الشريعة:

سبق تعريف الشريعة في اللغة وأنها تُطلق على الأمر الواضح البين، والمورد العذب الذي يردّه الناس للاستقاء، وُسِّمَت بذلك لوضوحها وظهورها.

وأما في الاصطلاح فتطلق مرة ويراد بها كل ما شرعه الله لعباده، فتشمل العقيدة والأحكام، وتطلق أخرى على العقائد التي يعتقدونها أهل السنة والجماعة خاصة، كاعتقادهم أنَّ الإيمان قول وعمل، وأنَّ الله يوصف بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، وغير ذلك من الأمور الاعتقادية، وهذا الإطلاق هو المقصود هنا. ومن كتب العقيدة التي أُلِّفت بهذا الاسم، كتاب الشريعة لأبي بكر الأجرى رحمته الله.

#### ❁ تنبيه:

تُطلق الفرق الإسلامية على علم العقيدة اسمان غير ما ذكر، هما: علم الكلام، علم الفلسفة. وهذان الاسمان لم يقبلهما السلف؛ بل نهوا عن علم الكلام

(١) كشف الأسرار للبخاري (١/٨).

والفلسفة وشنَّوا على أهلها؛ لأنَّهما يسلكان طرقاً لتقرير العقيدة لا توافق المنهج الصحيح في الاستدلال، كتغليب الدليل العقلي وجعله حاكماً على الوحي، وتقرير العقيدة بناء على الاستدلالات العقلية المجردة بمنأى عن الدلالة النقلية مما يؤدي إلى خطأ بعض النتائج التي يتوصلون إليها فيخالفون فيها دلالة الوحي، أو يهونون من شأنه ويقدمون غيره عليه، وأحياناً كثيرة تقود هذه الطريقة المشتغل بها إلى الحيرة والشك؛ فيؤتى من مأمنه، حيث يريد نصرة الحق وتعزيز اليقين بصحة العقيدة فيضطرب ويحار.

وقد ذكر ابن تيمية: نماذج من أولئك الذين وقعوا في الحيرة بسبب ملابتهم لعلم الكلام، واعترفوا في نهاية المطاف بأنَّ طريقة السلف أسلم، فقال: أكثر الفضلاء العارفين بالكلام والفلسفة؛ بل وبالتصوف، الذين لم يحققوا ما جاء به الرسول تجدهم فيه حيارى، كما أنشد الشهرستاني في أول كتابه لما قال: قد أشار إليَّ من إشارته غنم وطاعته حتم أن أجمع له من مشكلات الأصول ما أشكل على ذوي العقول، ولعلَّه استسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم:

لعمري لقد طفت في تلك المعاهد كلها      وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر      على ذقن أو قارعا سن نادم

وأنشد أبو عبدالله الرازي في غير موضع من كتبه:

نهاية إقدام العقول عقال      وأكثر سعى العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسوننا      وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا      سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروى غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ

عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿طه:٥﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠]، وقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، ﴿هَلْ نَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

وكان ابن أبي الحديد البغدادي من فضلاء الشيعة المعتزلة المتفلسفة وله أشعار في هذا الباب كقوله:

فيك يا أغلوطة الفكر	حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما	ربحت إلا أذى السفر
فلحى الله الأولى زعموا	أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا	خارج عن قوة البشر

والخونجي المصنف في أسرار المنطق يقول لما حضره الموت: أموت ولم أعرف شيئاً إلا أن الممكن يفتقر إلى الممتنع، ثم قال: الافتقار وصف سلبي، أموت ولم أعرف شيئاً. حكاة عنه التلمساني وذكر أنه سمعه منه وقت الموت.

ولهذا تجد أبا حامد الغزالي: مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفة وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف، ويحيل في آخر أمره على طريقه أهل الكشف، وإن كان بعد ذلك رجوع إلى طريقة أهل الحديث ومات وهو يشتغل في صحيح البخاري.

وهكذا كل من أمعن في معرفة هذه الكلاميات والفلسفيات التي تُعَارَضُ بها النصوص من غير معرفة تامة بالنصوص ولو أوزمها وكمال المعرفة بما فيها وبالاقوال التي تنافها، فإنه لا يصل إلى يقين يطمئن إليه، وإنما تفيده الشك والحيرة.



بل هؤلاء الحذاق الذين يدَّعون أنَّ النصوص عارضها من معقولاتهم ما يجب تقديمه تجدهم حيارى في أصول مسائل الإلهيات، حتى مسألة وجود الرب تعالى وحقيقته حاروا فيها حيرة أوجبت أن يتناقض هذا كتناقض الرازي، وأن يتوقف هذا كتوقف الآمدي، ويذكرون عدة أقوال يزعمون أن الحق ينحصر فيها، وهي كلها باطلة.

وقد حُكي عن طائفة من رءوس أهل الكلام أنَّهم كانوا يقولون بتكافؤ الأدلة، وأنَّ الأدلة قد تكافأت من الجانبين حتى لا يُعرف الحقُّ من الباطل. ومعلوم أنَّ هذا إنما قالوه فيما سلكوه هم من الأدلة.

وقد حُكي لي أنَّ بعض الأذكياء وكان قد قرأ على شخص هو إمام بلده ومن أفضل أهل زمانه في الكلام والفلسفة، وهو ابن واصل الحموي أنَّه قال: أضطجُع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي شيء. ولهذا انتهى أمره إلى كثرة النظر في الهيئة<sup>(١)</sup> لكونه تبين له فيه من العلم ما لم يتبين له في العلوم الإلهية.

ولهذا تجد كثيرًا من هؤلاء لما لم يتبين له الهدى في طريقه نكص على عقبيه فاشتغل باتباع شهوات الغي في بطنه وفرجه أو رياسته وماله ونحو ذلك؛ لعدم العلم واليقين الذي يطمئن إليه قلبه وينشرح له صدره.

وفي الحديث المأثور عن النبي ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغِيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضَلَّاتِ الْفِتَنِ»<sup>(٢)</sup>. وهؤلاء المعرضون عن الطريقة النبوية

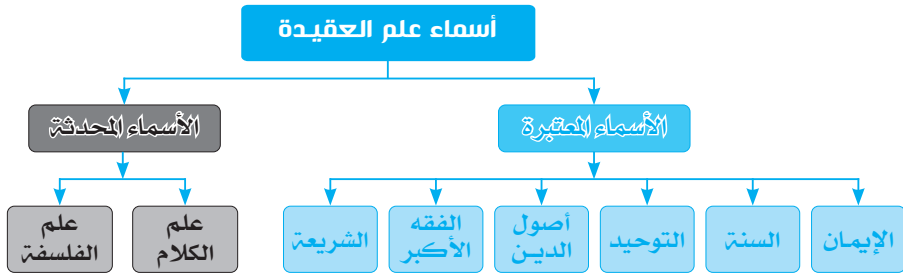
(١) أي: علم الفلك والنجوم.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم (١٩٧٧٢).

السلفية يجتمع فيهم هذا وهذا، اتباع شهوات الغي ومضلات الفتن؛ فيكون فيهم من الضلال والغي بقدر ما خرجوا عن الطريق الذي بعث الله به رسوله.

ولهذا أمرنا الله أن نقول في كل صلاة ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ»<sup>(١)</sup>. وكان السلف يقولون احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل، فَإِنَّ فَتْنَتَهَا فَتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ فكيف إذا اجتمع في الرجل الضلال والفجور.

ولو جمعت ما بلغني في هذا الباب عن أعيان هؤلاء لكان شيئاً كثيراً، وما لم يبلغني من حيرتهم وشكهم أكثر وأكثر، وذلك لأنَّ الهدى هو فيما بعث الله به رسله، فمن أعرض عنه لم يكن مهتدياً، فكيف بمن عارضه بما يناقضه وقدم مناقضه عليه<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه الترمذي، حديث رقم (٢٥٣).

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٥٩-١٦٦) مختصراً.

## \* علاقة علم العقيدة بغيره من العلوم:

علم العقيدة علم مستقل عن جميع العلوم؛ بل يعتبر الأساس لسائر العلوم الشرعية، إذ لا ينبغي لطالب العلم أياً كان تخصصه الجهل به، قال السفاريني: في نظمه:

وبعد فاعلم أن كل العلم      كالفرع للتوحيد فاسمع نظمي  
لأنه العلم الذي لا ينبغي      لعائل لفهمه لم يبتغ

وشرَّحهما: بقوله: «(فاعلم) الفاء في جواب الواو النابتة عن أمّا لتضمنها معنى الشرط، والعلم: صفة يُميِّز المتصف بها بين الجواهر والأجسام والأعراض، والواجب والممكن والممتنع، تمييزاً جازماً مطابقاً. (أن كل العلم) أي: سائر العلوم الشرعية، وكذا العقلية بأنواعها وتفاريحها من أصولها وفروعها (كالفرع لـ) علم (التوحيد) المتفرع عليه، والناشئ عنه، المنظور إليه، والمقتبس منه»<sup>(١)</sup>.

وإنما صار التوحيد أصلاً لغيره من العلوم الشرعية لأنها مرتبطة به ومعتمدة عليه، إذ إن نصوص الكتاب والسنة تدور حول التوحيد في خمسة أمور:

(١) تقرير التوحيد العلمي الخبري، وهو ما يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

(٢) تقرير التوحيد العملي الإرادي الطلبي، وهو ما يتعلق بأفعال المخلوقين.

(٣) دعوة الناس لعبادة الله وحده ونبذ الشرك.

(٤) بيان مستلزمات التوحيد ومقتضياته وحقوقه، فيدخل في هذه الأمر

بالأحكام العملية الفقهية والأخلاقية.

(١) لوامع الأنوار البهية (١/٥٦).

٥) بيان جزاء التوحيد وإكرام الله للموحدين في الدنيا والآخرة، وكذلك عقوبة الكافرين والمشركين<sup>(١)</sup>.

### ❖ فضل علم العقيدة:

يظهر فضل علم العقيدة في ثلاثة جوانب:

**الأول:** الشرف الذاتي، فهو علم شريف في ذاته، وقد اكتسب هذا الشرف من شرف ما يتعلق به، فهو يتضمن العلم بالله تعالى وما يجب له من الحقوق وما يمتنع عليه من النقائص، والكفر بما يضاد ذلك من العلوم والمعارف والأفكار والخواطر والآراء والاعتقادات، وهو مضمون دعوة الرسل **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

**الثاني:** منزلته من الدين: وتبين هذه المكانة بأمرين:

١- أن العقيدة أساس الدين وأصله، ولا يصح إيمان العبد ولا يقبل عند الله تعالى إلا بها، ولهذا يقول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وهي دعوة الرسل من لدن نوح إلى محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٢- أنَّها الغاية التي خلق الإنس والجن لأجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا

(١) ينظر: علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة (ص ٢٠٦).

بِهِ شَيْئًا ﴿ [النساء: ٣٦]، وَإِنَّ أَسَاسَ كُلِّ عِبَادَةٍ: عِبَادَةُ الْقَلْبِ، فَلَا تَصِحُّ عِبَادَةُ الْبَدَنِ وَلَا الْجَوَارِحِ إِلَّا إِذَا صَحَّتِ الْعَقِيدَةُ فِي الْقَلْبِ، فَعِبَادَةُ الْقَلْبِ بِالنِّسْبَةِ لِسَائِرِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ بِمِثَابَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ.

### ✽ حَكْمُ تَعَلُّمِ عِلْمِ الْعَقِيدَةِ:

تَنْقَسِمُ مَسَائِلُ عِلْمِ الْعَقِيدَةِ مِنْ حَيْثُ حَكْمُ تَعَلُّمِهَا إِلَى قِسْمَيْنِ:

**الأول: فرض عين:** وهو ما تصح به عقيدة المسلم؛ وذلك بالإيمان بأصول الاعتقاد الستة وما يندرج تحتها أو يلحق بها إيماناً مجملاً مستلزماً للقبول الإذعان والتسليم.

وهذا القدر من الإيمان هو مضمون لا إله إلا الله، وهو ما يُسأل عنه كل عبد في قبره، وما تكون عليه المحاسبة والجزاء أو العقاب في الآخرة، قال تعالى:

﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٨٩-٩٣]، قال ابن جرير: في معناها: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فورك يا محمد لنسألن هؤلاء -الذين جعلوا القرآن في الدنيا عِضِينَ- في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا، فيما أمرناهم به، وفيما بعثناك به إليهم من أي كتابي الذي أنزلته إليهم، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به، ومن توحيدني، والبراءة من الأنداد والأوثان»<sup>(١)</sup>.

**الثاني: فرض كفاية:** وهو ما زاد عن القدر المذكور في الواجب العيني من

(١) جامع البيان (١٧/١٤٩).

التفصيل والاستدلال والتعليل والجواب عن شبهات المخالفين، إذ لا يجوز أن يخلو زمان ممن يقوم بهذه الفريضة وإلا أثمت الأمة كلها<sup>(١)</sup>.

وسوف نستكمل مبادئ علم العقيدة حين الحديث عن مصادره ومراحل تدوينه فيما يلي من الوحدات إن شاء الله تعالى.



(١) ينظر: علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة (ص ١٦٥، ١٦٦).



الوحدة الرابعة



مصادر التلقي

عند أهل السنة والجماعة

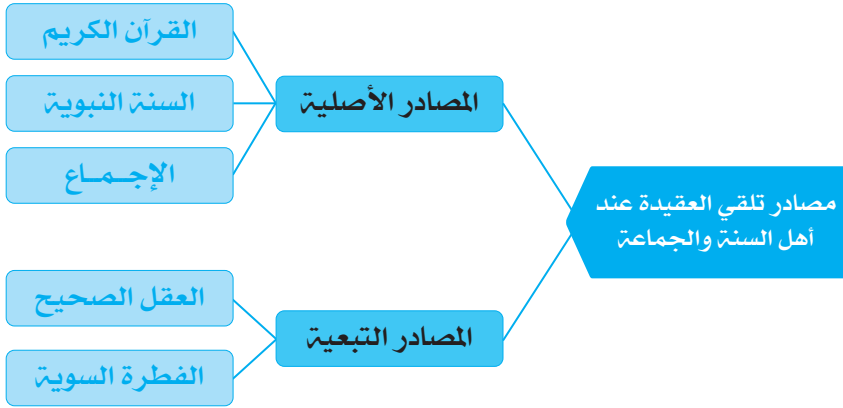






## مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة

تنقسم مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة إلى قسمين:  
**الأول: المصادر الأصلية**، وهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع.  
**الثاني: المصادر التبعية**، وهي: العقل الصحيح، والفطرة السوية.



### الفرق بين المصادر الأصلية والتبعية:

المصدر الأصلي هو الذي يستقل بالدلالة على العقيدة على وجه الدقة والتفصيل، ولا يتوقف الاستدلال به على غيره، فهو مستغن عن سواه وغيره محتاج إليه، وأمّا التبعية فعلى العكس من ذلك، فهي تثبت بعض المسائل العقدية إثباتاً مجملاً، دون إدراك جزئيات الاعتقاد ومسائله التفصيلية، فيمكن أن تثبت وجود الله ﷻ إثباتاً كلياً دون إدراك أسمائه وصفاته وما يجب له وما يمتنع عليه، وكذلك لا تدرك أسماء الملائكة وأعمالهم، والرسول وأحوالهم مع أمهم، ونحو ذلك من التفصيلات العقدية، وفيما يلي بيان كل منها:

## القسم الأول

### المصادر الأصلية

مرَّ قريباً أن أهل السنة والجماعة أتباع السلف يعتمدون ثلاثة مصادر أصلية يأخذون منها مسائل الاعتقاد، وهي على النحو الآتي:

#### الأول: القرآن الكريم:

**القرآن لغة:** مصدر من الثلاثي: قَرَأَ، فيقال: قَرَأَ، يقرأ، قِرَاءَةً، وقُرَأْنَا، ثم نُقِلَ من هذا المعنى المصدرية وجُعِلَ اسماً للكلام المعجز المنزَّل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله، وسُمِّيَ قرأناً؛ لأنه يجمع السور فيضمها، يقال: قرأت الشيء قرأناً، أي: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، أي: قِرَاءَتَهُ<sup>(١)</sup>.

**وفي الاصطلاح:** كلام الله المعجز، المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته<sup>(٢)</sup>.

#### الثاني: السنة النبوية الصحيحة بفهم الصحابة رضي الله عنهم:

سبق التعريف بالسنة في اللغة والاصطلاح، ومنه تبين شمولها أمرين: الأمر المبتدأ بعد أن لم يكن موجوداً، والطريقة العامة للنبي ﷺ.

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله: «تطلق السنة لغة وشرعاً على وجهين: الأول: الأمر يبتدئه الرجل فيتبعه فيه غيره، ومنه ما في صحيح مسلم في قصة الذي

(١) ينظر: لسان العرب (١/١٢٨).

(٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/١٩).

تصدق بصرّة فتبعه الناس فتصدقوا، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرٍ مَنْ عَمِلَ بِهَا...» الحديث (١).

**والتوجه الثاني:** السيرة العامة، وسنة النبي ﷺ بهذا المعنى هي التي تقابل الكتاب، وتسمى الهدى. وفي صحيح مسلم: أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ» (٢).

هذا وكل شأن من شؤون النبي ﷺ الجزئية المتعلقة بالدين من قول أو فعل أو كَفٌّ أو تقرير سُنَّةٍ بالمعنى الأول، ومجموع ذلك هو السنة بالمعنى الثاني (٣).

### \* حجية القرآن والسنة في العقائد:

القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة حجة في الدين كله: عقيدة وشريعة، وفيما يلي ذكر بعض الأدلة النقلية (٤) والعقلية على ذلك:

#### أولاً: الأدلة النقلية:

(١) جعل الله ﷻ القرآن نورًا يستنير به كل مرید للهداية إلى الحق فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم (١٠١٧).

(٢) المصدر نفسه، حديث رقم (٨٦٧).

(٣) الأنوار الكاشفة للمعلمي (ص ٢٠).

(٤) الأدلة النقلية هي: الأدلة من الكتاب والسنة، وتسمى: أدلة الوحي، والأدلة السمعية.

(٢) تكفل الله تعالى بحفظ القرآن إلى قيام الساعة فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]. والغاية من هذا بقاءه بياناً حياً وحجة قائمة على الناس على مرِّ العصور، ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [النحل:٤٤].

(٣) أرسل الله تعالى رسوله ﷺ مبلغاً عنه الدين للناس، وجعل الوحي - كتاباً وسنة - هو الشرع المبلغ، فهما حجة الله على الخلق، والإيمان بهما واجب، واتباعهما حتم، قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيْتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»<sup>(١)</sup>.

(٤) قرن الله تعالى الأمر بطاعته بالأمر بطاعة رسوله ﷺ في مواضع كثيرة من كتابه: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢]، وجعل طاعة الرسول من طاعته سبحانه فقال: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء:٨٠]، وفي هذا إشارة إلى أن ما صدر عن الله في كتابه أو صحَّ عن رسوله ﷺ في سنته واجب الطاعة والامتثال، وأن الاحتجاج بهما في العقائد والأحكام واجب على حدِّ سواء.

(٥) أمر الله تعالى بعد الأمر بطاعته وطاعة رسوله ﷺ بردِّ المسائل التي يقع فيها التنازع بين الناس سواء في العقيدة أو الأحكام إليه وإلى نبيه ﷺ فقال: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]. وكما أن الردَّ إلى الله يكون إلى كتابه، فالرد إلى النبي ﷺ يكون بعد موته إلى سنته، فهما حجة في المسائل العلمية والعملية جميعاً.

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم (٤٦٠٤)، وصححه الألباني.

٦) نفى سبحانه الإيمان عن كل من لم يقبل التحاكم إلى رسول الله ﷺ وإلى سنته، أو تحاكم ولم يرض بحكمه فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [٦٤] فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤، ٦٥]. وفي هذا دليل على أَنَّ السُّنَّةَ حجة معتبرة في الدين وإلا لما نفى الإيمان عن من لم يتحاكم إليها، أو تحاكم إليها ولم يقبل ويسلم بحكمها.

٧) حذّر الله تعالى من ترك السنّة ومخالفتها؛ حتى ولو كان هذا الترك إلى القرآن، فقال سبحانه: ﴿ فليحذر الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، فلو لم تكن السنّة حجة في مسائل الدين كلها: أصوله وفروعه لما توعّد على تركها ومخالفتها، ولَمَا شَنَّ ﷺ على من اقتصر على القرآن دونها حين قال: «لَا أُفْضِنُ أَحَدَكُمْ مُتَكِنًا عَلَيَّ أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَذْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: الأدلة العقلية:

١) إنَّ شهادة أنَّ محمد رسول الله تقتضي تصديقه فيما يخبر به، وقد أخبر بالقرآن عن الله ﷻ، وأخبر بالسنّة من قوله وفعله وتقريره، وبين أنَّها وحي من الله تعالى كذلك، فوجب قبولهما والاحتجاج بهما في جميع مسائل الدين العقدية والعملية.

(١) المصدر نفسه، حديث رقم (٤٦٠٥)، وصححه الألباني.

- (٢) أن من صدّق بالقرآن وآمن به وجب عليه الإيمان بالسنة والاحتجاج بها، لأن القرآن أمر باتباع النبي ﷺ، ولا يتحقق الاتباع إلا بالعمل بالسنة.
- (٣) أن السنة تقرر أحكامًا زائدة على ما في القرآن، فلا يكون الدين صحيحًا إلا بالعمل بها معه، وإلا كان ناقصًا.

### تنبيهات في الاستدلال بالقرآن والسنة على المسائل العقدية:

- حتى يكون الاستدلال بالكتاب والسنة استدلالًا صحيحًا فقد نصّ العلماء على الطريقة المنهجية الصحيحة التي ينبغي سلوكها لذلك، ومن أبرز ما ذكره ما يلي:
- (١) طلب تفسير القرآن الكريم في القرآن أولاً<sup>(١)</sup>، فإن لم نجد ففي الثابت الصحيح من سنة النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، فإن لم نجد فبأقوال أصحابه الكرام ﷺ<sup>(٣)</sup>، فإن لم نجد فبأقوال التابعين<sup>(٤)</sup>، فإن لم نجد فبدلالة اللغة التي نزل بها القرآن<sup>(٥)</sup>. وبهذا

- (١) فسّر الظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، بالشرك استدلالًا بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَكَ شُرَكَاءَ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].
- (٢) كتفسير الحساب في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، بعرض الأعمال على الله، كما ورد في صحيح البخاري، حديث رقم (١٠٣).
- (٣) كتفسير ابن مسعود وابن عباس للهو الحديث المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]، بالغناء. وقد اشتهر من الصحابة بالتفسير كثيرون منهم: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري ﷺ.
- (٤) اشتهر كثير من التابعين بالتفسير، ومن أشهرهم: مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأفوالهم كثيرة في كتب التفسير.
- (٥) من جميل ما يذكر في التفسير بلغة العرب ما روي أن عمر بن الخطاب ﷺ قال على المنبر: يا أيها الناس، ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ =

الترتيب نعلم أهمية الآثار الثابتة عنه ﷺ، والمنقولة عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، لما حُكِمَ به لهم من الخيرية على القرون التي جاءت بعدهم، ولما اتصفوا به من تقوى وفهم، ولقرهم من عصر التنزيل. وكذلك نعلم أهمية العناية بلغة العرب تعلمًا وتعليمًا وفهمًا وتطبيقًا، إذ لا سبيل لفهم الدين إلا بمعرفة لغته التي نزل بها.

٢) الاستدلال بالثابت من السنة النبوية، فلا يُقبل في الاستدلال إلا بالصحيح أو الحسن، والحذر كل الحذر من الاستدلال بما رده العلماء وأنكروا ثبوته عن النبي ﷺ.

٣) صحة الاستدلال، فإن صحة الدليل سندًا ومتنًا لا تغني عن صحة الطريق التي يُستدل بها على الأحكام، وأهل السنة من أوضح الناس منهجًا في الاستدلال على المسائل العقديّة، وهذا ما سنبينه عند الحديث عن قواعد الاستدلال لاحقًا.

فإذا تبين هذا علمنا أنّ الكتاب والسنة هما أصلا الاستدلال في الدين عقيدة وشريعة، وفيهما الغنية عن استحداث مصادر أخرى خارجة عنها، وإنما قُبِلَ الإجماع والقياس لبنائهما عليهما، وهذا ما يقرره أئمة السلف رَحِمَهُمُ اللهُ، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»<sup>(١)</sup>.

[النحل: ٤٧]، فسكت الناس. فقال شيخ من بنى هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف: التنقص. فقال عمر: أتعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقه تنقص السير سنامها بعد اكتنازه: تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا... كَمَا تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبَعَةِ السَّفَرْنَ. ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٩/١٠).

(١) الرسالة (ص ٢٠).

ولهذا تواتر عن السلف التمسك بالكتاب والسنة قولاً وعملاً والدعوة لذلك، فعن سفيان الثوري قال: «إن استطعت ألا تُحَكَّ رأسك إلا بأثر فافعل»<sup>(١)</sup>، وروى الشافعي يوماً حديثاً فقال له عبد الله بن الزبير الحميدي: أتأخذ به؟ فقال: رأيتني خرجت من كنيسة أو عليّ زنار حتى إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لا أقول به؟!<sup>(٢)</sup>، وقيل لمحمد بن نصر لما روى حديثاً: أتأخذ به؟ فقال: أترى عليّ وسطي زناراً؟! لا تقل لخبر النبي ﷺ: أتأخذ به؟ وقل: أصحيح هو ذا؟ فإذا صحَّ الخبر عن النبي ﷺ قلتُ به، شئتُ أو أبيتُ»<sup>(٣)</sup>.

### الثالث: الإجماع:

**الإجماع لغة:** العزم على الأمر والإحكام عليه، تقول: أجمعت الخروج وأجمعت على الخروج؛ قال تعالى: ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّخَفُوا صَفًا﴾ [طه: ٦٤] فمعناه لا تدعوا شيئاً من كيدكم إلا جئتم به<sup>(٤)</sup>.

**واصطلاحاً:** اتَّفَاقُ مَجْتَهِدِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بعد وفاته في عصرٍ من العصور على حكمٍ شرعيٍّ<sup>(٥)</sup>.

### حجية الإجماع:

يأتي الإجماع في المرتبة الثالثة من مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة، وقد دلَّ على حججته أدلة من الكتاب والسنة، ومنها:

- (١) الجامع لأخلاق الراوي (١٤٢/١).
- (٢) حلية الأولياء (١٠٦/٩).
- (٣) ذم الكلام وأهله (١٧٨/٢).
- (٤) ينظر: لسان العرب (٥٧/٨)، تاج العروس (٤٦٤/٢٠).
- (٥) ينظر: أصول الشاشي (٢٨٧/١).



**الأول:** قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، قال الخطيب البغدادي رحمه الله: «وجه الدليل من هذه الآية أن الله تعالى توعد أتباع غير سبيل المؤمنين، فدلَّ على أن أتباع سبيلهم واجب ومخالفتهم حرام»<sup>(١)</sup>. وكان عمر بن عبدالعزيز يقول: «سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بما سنَّوا اهتدى، ومن استبصر بها تبصر، ومن خالفها واتَّبِع غير سبيل المؤمنين ولَّاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»<sup>(٢)</sup>.

**الثاني:** قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي، أَوْ قَالَ: أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ، عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ»<sup>(٣)</sup>. فذكر الضلالة نكرة في سياق النفي فدلَّت على العموم، فالله تعالى منع على نفسه أن يجمع كلمة الأمة على ضلال، فعلم بمفهوم المخالفة أنه متى جمع كلمتهم على أمر فهو حقٌّ محبوب له تعالى.

«وإنَّ الإجماع المعتبر في أبواب الاعتقاد الذي يُعتد به ويُعوَّل عليه ويُتَّج به هو إجماع السلف الصالح أهل السنة والجماعة، أهل الحديث والأثر، الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، وذلك لاتفاقهم في أصول الدين، وعدم خروج الحقِّ عنهم، واعتمادهم على الكتاب والسنة، فهم يدورون معها حيث دار»<sup>(٤)</sup>.

(١) الفقيه والمتفقه (١/٢٢٦).

(٢) المصدر نفسه (١/٢٤٧).

(٣) أخرجه الترمذي، حديث رقم (٢١٦٧)، وصححه الألباني.

(٤) المسائل العقدية، للجعيد (ص٦٦).

### فائدة الإجماع:

إنَّ انعقاد الإجماع على المسائل يقع على أحوال، وفي كل حال تكون له فائدة زائدة عن بيان الحكم الشرعي:

**الأول:** انعقاده على أحكام دلت عليها الأدلة النقلية دلالة قطعية، ففائدته هنا: تأكيد الحكم وتأييد الأدلة، كالإجماع على وجوب توحيد الله تعالى في العبادة، وتحريم اتخاذ القبور مساجد، ونحوهما.

**الثاني:** انعقاده على حكم مسائل كانت دلالة النصوص عليها ظنية ففائدته هنا دفع وقوع الخلاف في فهم الأدلة، خاصة أنَّها ليست نصوصاً في المسائل، كالإجماع على تحريم التوسل بأحد من الأموات ولو كان الميت رسول الله ﷺ.

**الثالث:** انعقاده على حكم مسألة قد نُقل الخلاف فيها من قبل، ففائدته هنا رفع الخلاف، كالإجماع على عدم فناء النار.

**الرابع:** انعقاده على مسائل لم يرد حكمها في الأدلة النقلية، وهذا وإن كان موجوداً إلا أنَّه قليل بالنسبة للمسائل الواردة في الكتاب والسنة، كالإجماع على قتال من امتنع عن الفريضة وإن أقرَّ بوجوبها، كما قاتل الصحابة مانعي الزكاة.



## القسم الثاني

## المصادر التبعية

**المصادر التبعية:** هي المصادر التي لا تستقل بتقرير عقيدة لم يدلَّ عليها الوحي، ولا تنفي عقيدة ثابتة به؛ وإنما هي وسيلة لفهم الوحي، وقد تثبت بعض الكليات دون الجزئيات، كالاستدلال على أنَّ للكون خالقًا مدبرًا، ولكنها تعجز عن معرفة أسماء الخالق وصفاته وما يجب له وما يمتنع منه. وهذه المصادر على النحو التالي:

**الأول: العقل الصحيح؛**

**العقل لغته:** لفظ يدل على معانٍ منها: الحبس عن الشيء، وضد الجهل والجنون، وحسن الفهم<sup>(١)</sup>.

**واصطلاحًا:** غريزة فطرية ومكتسبة يميز بها العاقل الممكن والمستحيل، ويكتشف بها العواقب والمآلات.

وإنَّ الميزان الذي يميز العقل الصحيح من الفاسد هو مدى موافقة نتاجه لما يقرره الوحي: كتابًا وسنةً، فكل معقول وافق الوحي فهو صحيح وما عارضه فاسد، فيجب أن يعرض الإنسان كلَّ ما يطرأ عليه من الأفكار والآراء على الوحي فإن وافقه قبله وقال به ودعا إليه، وإن خالفه تركه واستعاذ بالله منه، وهذا هو الفيصل بين منهج السلف في التعامل مع العقل وغيرهم.

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٤/٦٩)، المصباح المنير (٢/٤٢٣).

### منزلة العقل ومكانته في الإسلام:

يمكن أن أبين منزلة العقل في الإسلام من خلال النقاط التالية:

(١) أنه مناط التكليف، ولهذا كَرَّمَ اللهُ تعالى بني آدم على غيرهم من المخلوقات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]، ورُفِعَتِ المؤاخِذَةُ عَنْ فَاقِدِهِ، فقال ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَبْرَأَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبُرَ»<sup>(١)</sup>.

(٢) أنه أداة الفهم والعلم، وبه تدرك حقائق الكون وأحكام الشريعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْقُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصْرَفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

(٣) أنه وسيلة التفكير والتدبر والتأمل في الكتاب المفتوح، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق:٦].

### قواعد الاستدلال بالعقل عند أهل السنة والجماعة:

تعددت مواقف الناس من العقل على مرِّ تاريخ المسلمين على ثلاثة أحوال:

**الأول:** الغلاة في تحكيم العقل، حيث جعلوه مصدراً أصيلاً للعلوم والمعارف الدينية، فقبلوا ما يقبله ورفضوا كل ما ينكره، متجاهلين قصوره عن إدراك جميع المعارف والعلوم، وهؤلاء هم الفلاسفة وأهل الكلام.

**الثاني:** الغلاة في رفضه، وهؤلاء عطَّلوه عن مهمته التي خلقه الله لأجلها وهي: الإدراك والتمييز، فكانت نتيجة ذلك أن استحكمت عليهم البدع،

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم (٤٣٩٨)، وصححه الألباني.

وراجت في بيهم الخرافات والأساطير، ويتجلى ذلك ظاهراً عند الصوفية ومن نحى نحوهم من أهل البدع.

**الثالث:** المعتدلون في التعامل معه، وهؤلاء استثمروه في فهم وإدراك وتحليل واستنباط كل ما هو داخل تحت إمكاناته التي خلقه الله عليها، دون أن يمنحوه الاستقلال الكامل، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة.

وقد بين أبو المظفر السمعاني: الفرق بين أتباع السلف ومخالفهم فيما يتعلق بالعقل فقال: «واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأمّا أهل السنة، قالوا: الأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء ولبطل معنى الأمر والنهي ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بُني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لا يقبلوا شيئاً حتى يعقلوا.

ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله، وما تعبد الناس به من اعتقاده، وكذلك ما ظهر بين المسلمين وتداولوه بينهم ونقلوه عن سلفهم إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفات الجنة، وصفات النار وتخليد الفريقين فيهما، أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين وعقلناه وفهمناه فلله الحمد في ذلك والشكر ومنه التوفيق، وما لم يمكننا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آمنّا به وصدقنا، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيبته»<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: فصول من الانتصار لأصحاب الحديث (ص ٨١، ٨٢).



وحتى يُضبط العقل عن الجنوح نصَّ أهل السنة والجماعة على عدد من القواعد التي تحدد الإطار الذي ينبغي أن يكون عليه حال الاستدلال به، أبرزها:

(١) أن العقل محكوم بالوحي لا حاكماً عليه، وهذا يعني أن كل ما أثبتته الدليل النقلي يجب قبوله وردُّ كل ما يخالفه، قال السجزي رحمته الله: «ولا خلاف بين المسلمين في أن كتاب الله لا يجوز ردُّه بالعقل؛ بل العقل دلٌّ على وجوب قبوله والائتمام به، وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ثبت عنه لا يجوز ردُّه، وأنَّ الواجب ردُّ كل ما خالفهما أو أحدهما»<sup>(١)</sup>.

(٢) العقل الصحيح لا يعارض النقل الصريح، وكيف يتخالفان وخالف العقل ومنزل الشرع واحد، وقد طلب الله تعالى من الناس أن يعملوا عقولهم

(١) رسالة السجزي إلى أهل زييد (ص ٩٣).

في الدلائل الموصلة إليه ﷺ، فمتى اختلف العقل والنقل، فإمّا أن يكون العقل فاسداً، أو أنّ النقل غير صحيح أو ليس بصريح، قال ابن القيم رحمته الله: «إنّ الحجب السمعية مطابقة للمعقول، والسمع الصحيح لا ينفك عن العقل الصريح؛ بل هما أخوان نصيران، وصل الله بينهما وقرن أحدهما بصاحبه فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، فذكر ما ينال به العلوم، وهي السمع والبصر والفؤاد الذي هو محلّ العقل. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، فأخبروا أنهم خرجوا عن موجب السمع والعقل (...). وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، فجمع سبحانه بين السمع والعقل، وأقام بهما حجته على عباده، فلا ينفك أحدهما عن صاحبه أصلاً، فالكتاب المنزل والعقل المدرك حجة الله على خلقه، وكتابه هو الحجة العظمى، فهو الذي عرفنا ما لم يكن لعقولنا سبيل إلى استقلالها بإدراكه أبداً، فليس لأحد عنه مذهب ولا إلى غيره مفرع في مجهول يعلمه ومشكل يستبينه وملتبس يوضحه، فمن ذهب عنه فإليه يرجع، ومن دفع حكمه فبه يحاج خصيمه، إذ كان بالحقيقة هو المرشد إلى الطرق العقلية والمعارف اليقينية التي بالعباد إليها أعظم حاجة، فمن ردّ من مدعي البحث والنظر حكومته ودفع قضيته فقد كابر وعاند ولم يكن لأحد سبيل إلى إفهامه ولا محتاجته ولا تقرير الصواب عنده، وليس لأحد أن يقول: إني غير راض بحكمه بل بحكم العقل، فإنّه متى ردّ حكمه فقد ردّ حكم العقل الصريح وعاند الكتاب والعقل»<sup>(١)</sup>.

(١) الصواعق المرسلّة (٢/٤٥٩).

(٣) إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل، لأنَّ العقل يدلُّ على الجزم بصحة الوحي وصدق المخبر به وهو النبي ﷺ، فإنَّ قُدِّمَ العقل على ما يجزم بصحته وصدقه صار قدحًا في دلالته، وهذا لا يستقيم. قال ابن أبي العز: «إذا تعارض العقل والنقل فيجب تقديم ما دلَّ عليه النقل؛ لأنَّ الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأنَّ العقل قد دلَّ على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ، فلو أبطلنا النقل لكنَّا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضا للنقل، لأنَّ ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح، فإنَّ العقل هو الذي دلَّ على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يجز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل»<sup>(١)</sup>.

(٤) الوحي يأتي بما تحار فيه العقول ولا يأتي بما تحيله<sup>(٢)</sup>: فالعقول لقصورها وضعف إدراكها قد تحار في شيء مما جاء به الشرع، فالواجب عليها هنا أن تسلم للصادق الحكيم العليم بكل شيء، وأن تخضع لذلك وتؤمن به، وتجزم بأنَّ الشرع لا يأتي بما تعده العقول مستحيلاً إطلاقاً.

(١) ينظر: شرح الطحاوية (ص ١٦٦).

(٢) ينظر: المصدر نفسه (ص ٣٩٥).



## ثانياً: الفطرة السوية:

**الفطرة لغتاً:** الخلق، يقال: فطر الله الناس فطراً، أي: خلقهم (١).

**وشرعاً:** ما خلقت عليه الخليفة من قبول الإسلام والتهيؤ للتوحيد (٢).

فالعباد كلُّهم مفطورون على الإقرار بالله تعالى، واعتقاد أنه ربهم وخالقهم ومدبر أمورهم، ومن بيده نجاتهم وغوثهم وإجابة دعائهم؛ ولهذا فسّر بعض السلف الفطرة بالإسلام، والتوحيد انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]. وكان أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (٣).

ويؤكد هذا المعنى حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله صلى الله عليه وسلم: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً» (٤).

## ومن هذين الحديثين يتبين مايلي:

- أن الإيمان بالله وتوحيده مركز في الفطر البشرية.
- أن النفس البشرية لو عاشت في مجتمع مؤمن وتُركت دون مؤثر خارجي يصرفها فستنشأ مُقرّة بوجود الله تعالى موحدّة له.

(١) ينظر: المصباح المنير (٢/٤٧٦).

(٢) ينظر: علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة (ص ١٩٨).

(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم (١٣٥٨)، ومسلم، حديث رقم (٢٦٥٨).

(٤) أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٨٦٥).

- أن معرفة الله تعالى لا تحتاج إلى نظر في الأصل، ومما يدل على ذلك أن عوام المسلمين يؤمنون بالله تعالى من خلال تعرفهم عليه، وما فكروا وما نظروا في الآيات الكونية ولا قرؤوا الآيات الشرعية حتى عرفوا الله بها، بل عرفوه بمقتضى الفطرة<sup>(١)</sup>.

#### تنبيه:

الفطرة السوية التي لم تنحرف يمكن أن تدلّ على بعض المسائل العقدية إجمالاً، مثلها مثل العقل الصحيح، فهي تهتدي إلى وجود الخالق، وتقبل الإسلام، لأنّها مفطورة على إدراك الحق وقبوله، ولولا هذا الاستعداد ما أفاد النظر ولا البرهان، شأنها في ذلك شأن الأبدان، فطرها الله تعالى قابلة للانتفاع والاعتداء بالطعام والشراب، ولولا هذا الاستعداد لما حصل الانتفاع، أمّا تفصيل المسائل وأدلتها وما يندرج تحتها وما يضادها فلا يمكن معرفته إلا بالدليل النقلي، فما نطق به أثبتناه، وما خالفها تركناه.



(١) ينظر: شرح العقيدة السفارينية (١/٤٨).



## الوحدة الخامسة



# مصادر التلقي عند المخالفين





## مصادر تلقي العقيدة عند المخالفين

خالفت الفرق أهل السنة والجماعة- أتباع السلف- في مصادر تلقي العقيدة في أمرين:

(١) طريقة الاستدلال والتعامل مع المصادر.

(٢) استحداث مصادر جديدة لم تكن معتبرة عند السلف.

وسيكون الحديث فيما يلي عن موقف المخالفين من مصادر العقيدة المشتركة مع أهل السنة، ثم الحديث عن ما أحدثوه من المصادر الخاصة بهم، وبيان ذلك فيما يلي:

### الأول: المصادر المشتركة مع أهل السنة:

تعددت مناهج المخالفين في التعامل مع المصادر السنية، وهي على ما يلي:

(١) **الكتاب العزيز:** إنَّ اعتبار القرآن الكريم مصدرًا للعقيدة أمر متفق عليه بين عامة المسلمين، ولن يخالف فيه مؤمن، وإنما وقع الخلاف بعد هذا في طريقة الاستدلال بالقرآن. وهذا ملخص مواقف الفرق من الاستدلال بالقرآن:

- القول بتحريف القرآن، وهذا قال به غالب الشيعة، إذ لا يرون الاحتجاج به لعدم إيمانهم بصحته، ومن ينكر منهم التحريف لا يركن لقولهم؛ لأنَّ التقية دينهم والكذب سجيتهم.

- الإقرار به مع تأويله وفق أهوائهم وعقائدهم المبتدعة، كتأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ الْوَالِدِينَ وَالْأَبْنََاءَ إِلَهَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ﴾ [النحل: ٥١]،

قالوا: إنما هو إمام واحد. وتأويل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، قالوا: استولى. وقوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُا مِمَّا مَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْيَٰئِي﴾ [ص: ٧٥]، قالوا: بقدرتي. إلى أمثال هذه التأويلات المخالفة لما كان يفسرها السلف به.

- الإقرار به مع عدم قبول شيء منه إلا إذا وافق القواعد العقلية التي قرروها سلفاً، وهذا فعل المدرسة العقلية القديمة والحديثة.

- الانصراف عنه واستبدال غيره به، كما استبدل الفلاسفة كتاب الإشارات لابن سينا، والصوفية كتاب دلائل الخيرات، وكتاب إحياء علوم الدين، والعصرانية الحديثة استبدلت به السير في الأرض والنظر في الآيات الكونية<sup>(١)</sup>، فجعلوا المرجع إليها أكثر من رجوعهم للقرآن الكريم.

- التشكيك في نقله والتهوين من حفظه، واحتمال التحريف والتغيير لمضمونه عبر القرون، أو المطالبة بإعادة قراءته قراءة جديدة تتوافق مع معطيات العصر الحديث وأفكاره، وهذا شأن المدرسة التنويرية المعاصرة.

**(٢) السنة النبوية:** لم تكن السنة النبوية بمنأى عن سهام الفرق المخالفة لمنهج السلف، فقد تعددت مواقفهم بسبب الشك في ثبوتها، أو التشكيك في عدالة نقلتها، وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم، خاصة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وهذا ملخص أشهر مقالات المخالفين في الاستدلال بالسنة<sup>(٢)</sup>:

(١) يقول جودت سعيد: «إِنَّ آيَةَ الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ حَدَدَتْ مَكَانَ الدَّلِيلِ وَمَصْدَرَهُ، بَأَنَّهُ لَيْسَ الْكِتَابُ، فَلَا نَطْلُبُ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ مِنَ الْكِتَابِ، وَإِنَّمَا نَطْلُبُهُ مِنَ السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ وَالنَّظْرِ». ينظر: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (ص ٢٢١).

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق (ص ٧٣، ٧٤) ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (١/ ١١٠)، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة (ص ٢١٠-٢٥٦).

- إنكار جميع السنة؛ لاعتقادهم كفر أكثر الصحابة، واستعاضوا عنها بما يُنسب لأئمتهم من الآثار، وهذا قول الإمامية الاثني عشرية من الشيعة.
- إنكار كثير من الأحاديث التي نقلها من يرون كفرهم من الصحابة، وهذا قول الخوارج، فلا يقبلون أحاديث علي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ومعاوية وغيرهم ممن يرون ردّتهم عن الإسلام.
- حصر الاحتجاج في باب العقيدة في المتواتر من السنة دون الآحاد، إذ لا يرون خبر الواحد إذا صح حجة فيها لظنيّة ثبوته، في حين أنّ مسائل العقيدة مسائل يقينية يطلب فيما يثبتها القطع، وعليه لم يقبل المعتزلة خبر الآحاد إلا إذا جاء موافقاً للعقل، فيُستدل به حينئذ تعصيماً، ووافقهم في هذا بعض المتكلمين من الأشاعرة كأبي المعالي الجويني والفخر الرازي.
- تقديم العقل عليها عند توهم التعارض، وهذا منهج المعتزلة ومن تأثر بهم من طوائف المتكلمين.
- نفي نسبتها للنبي ﷺ لتأخر تدوينها، وإنكار كونها وحياً من الله تعالى، وزعمهم أنها لم تكن شرعاً في عهد النبوة، وزعموا أيضاً أنّ الحكم بها يؤدي لتفريق المسلمين، وهذه أقوال القرآنيين المعاصرين ومن تأثر بهم من المدرسة التنويرية.
- (٣) الإجماع:** وقد أنكرت بعض الفرق حجية الإجماع، كالخوارج، والشيعة، والنظامية من المعتزلة؛ بل غلا بعضهم في إنكاره حتى قالوا: إنه لا يُتصور وقوعه، فضلاً عن الاحتجاج به<sup>(١)</sup>.
- (٤) العقل:** اعتبرت بعض الفرق المخالفة العقل مصدراً أصيلاً، وجعلوه

(١) ينظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (١/ ١٤٠).

الحاكم على النصوص الشرعية، فلا يقبلون منها إلا ما يوافق عقولهم، كما مرَّ في الحديث عن أخبار الآحاد، وتقديم العقل على النقل حال توهم التعارض. ومن الفرق من أهملت العقل تمامًا فتاهت في أودية الجهل والخرافة، كما فعلت أكثر الفرق الصوفية.

**(٥) الفطرة:** مرَّ معنا أنَّ أهل السنة والجماعة يرون الاستدلال بالفطرة على المسائل العقدية الإجمالية، وأنها تدل ضرورة على الله والإقرار به وتوحيده، وأمَّا المتكلمون فقد أنكروا دلالتها على وجود الله، وجعلوا الطريق الوحيد للإقرار بالخالق العقل، قال القاضي عبد الجبار: «إن سأل سائل فقال: ما أول ما أوجب الله عليك؟ فقل: النظر المؤدِّي إلى معرفة الله تعالى؛ لأنَّه تعالى لا يُعرَف ضرورة<sup>(١)</sup>، ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر»<sup>(٢)</sup>. وقال الإمام الباقلاني مؤكِّدًا هذا المعنى: «إنَّ أول ما فرض الله ﷻ على جميع العباد النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته وشواهد ربوبيته؛ لأنَّه سبحانه غير معلوم باضطرار، ولا مشاهدة بالحواس، وإنما يُعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة، والبراهين الباهرة»<sup>(٣)</sup>.

### الثاني: المصادر المحدثه:

وبعد بيان موقف الفرق من مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة -أتباع السلف- سأبين فيما يلي الأدلة التي أحدثتها الفرق واعتبرتها مصادر لتلقي العقيدة، وهي على ما يأتي:

(١) نفي المعرفة الضرورية هو نفي الفطرة.

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص ٣٩).

(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده (١ / ٢١).



(١) **العقل المجرد:** وقد تبين مما سبق تعظيم المتكلمين للعقل المجرد وجعله أقوى الأدلة وأصدقها، وتبين موقفهم من النقل بناء على ما اعتمده بشأن العقل، وتابعتهم في ذلك المدرسة العقلية المعاصرة، وإنما ذكرته هنا للتأكيد على زعمهم استقلاليتها، فهو بهذا الاعتبار محدث مبتدع.

## (٢) الكشف بجميع أنواعه:

**الكشف لفتح:** رفع الحجاب. **وفي الاصطلاح:** الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمر الحقيقية وجوداً وشهوداً<sup>(١)</sup>.

ويدعي من يقولون بالكشف-الصوفية- أنهم يأخذون به عن النبي ﷺ أو عن غيره من الأولياء ما يلي:

- الأذكار والأوراد والأدعية وفوائد وآثار المحافظة عليها والالتزام بها.
- معرفة مناقب شيوخ الطرق الصوفية، وطرائقهم وأتباعهم، وميزة كل طريقة على الأخرى.
- معرفة معاني بعض الآيات القرآنية، ودرجة صحة الأحاديث، وأخذ الأحكام الشرعية<sup>(٢)</sup>.

والكشف أنواعه كثيرة منها: رؤية النبي ﷺ أو الولي أو سماع أصواتهم وفهم كلامهم يقظة بعد موتهم، والإلهام، والفراسة، والهواتف، والإسراءات والمعاريج، والرؤى والمنامات. ولهم في كل واحد منها معنى خاص بهم غير ما يتبادر لذهن القارئ ممن لم يتلبس بالتصوف، فإنهم لا يقصدون برؤية النبي ﷺ

(١) ينظر: التعريفات (ص ٢٣٧)، ومعجم مصطلحات الصوفية (ص ٢٢٥).

(٢) ينظر: الكشف في المعتقد الصوفي <http://majles.alukah.net>

مجرد الرؤيا؛ وإنما يعنون رؤيا خاصة يتلقون فيها الأوامر والنواهي، وكذلك الحال في الإسراءات والمعاريج فهي محاكاة للإسراء والمعراج بالنبي ﷺ فيتلقون الأوامر والنواهي الدينية عن هذا الطريق، ومعلوم أن هذا سيفتح باب الزيادة في الدين، وهو يفسر كثرة البدع والمحدثات عند القائلين بالكشف.

«قد ردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية على غلو الصوفية في مسألة الكشف، وبين أن ما يحصل من نوع المكاشفة للإنسان ثلاثة أصناف: ملكي ونفسي وشيطاني، فما كان من الملك ومن قلب المؤمن فهو حق، وما كان من الشيطان ووسوسة النفس فهو باطل.

وقد مثل شيخ الإسلام الكشف الشرعي بما كان يحدث مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مستشهداً بقول النبي ﷺ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

كما ذكر الكشف البدعي والذي يكون سببه الجن والشيطان، منبها أن كل من كان من أهل الكشف لم يكن أفضل من عمر رضي الله عنه، وبالتالي فعليه أن يسلك سبيله في الاعتصام بالكتاب والسنة تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ، لا أن يجعل ما جاء به النبي ﷺ تبعاً لما ورد عليه، وظنوا أن كشفهم يغنيهم عن اتباع العلم المنقول.

وقد ذكر شيخ الإسلام أنه بالرغم من نص الحديث الصحيح الذي يجعل من عمر بن الخطاب رضي الله عنه محدثاً ومخاطباً إلا أنه كان يعرض ما يقع له من كشف

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٣٩٨).

على ما جاء به الرسول ﷺ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر وموافقاته لما نزل من القرآن غير مرة، وتارة يخالفه فيرجع عنه ﷺ كما حصل يوم الحديبية<sup>(١)</sup>. فتبين من هذا أن الضابط للكشف الحق موافقة المكشوف للدين الذي تعبد الله به عباده وبلغه النبي ﷺ لأمته، وعمل به الصحابة والتابعون ومن تبعهم على الحق والسنة، إذ لا يُتصور قبول زيادة في الدين أو نقص منه بعد موت النبي ﷺ، وقد أكمل الله الدين للناس وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وما خالفه إنما هو من وساوس الشيطان وخطرات النفوس الأمارة بالسوء.

### ٣) الذوق:

**الذوق لغتاً:** إدراك طعم الشيء بواسطة اللسان<sup>(٢)</sup>.

**واصطلاحاً:** نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره<sup>(٣)</sup>.

والذوق مصدر لتلقي العقيدة عند الصوفية، وله عندهم أنواع ودرجات وموضوعات، ووسائل وطرق استدعاء، ليس هذا مقام بسطها.

ومن أمثلة ما نتج عن الذوق من المعارف والعلوم عند الصوفية تفسيرهم المغفرة بالستر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿ [الفتح: ١، ٢]، فصار معنى الآية عندهم أن الله تعالى ستر

(١) الكشف في المعتقد الصوفي <http://majles.alukah.net>

(٢) ينظر: المصباح المنير (١/ ٢١١).

(٣) ينظر: معجم مصطلحات الصوفية (ص ١٠٤).

عن الأنبياء في الدنيا كونهم نوّابًا عن الرسول محمد ﷺ، وأنه هو الذي وجّههم لدعوة أممهم، وسيعلمون يوم القيامة ذلك حينما يعلمون أنه سيد الخلق، في حين أنّ المعنى الصحيح للمغفرة في الآية هو تبشير النبي ﷺ بمغفرة الله تعالى لما تقدم من ذنبه وما تأخر<sup>(١)</sup>.

وكذلك تفسيرهم قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] بأنّ الله تعالى لما تجلّى لآدم علم بتذوقه جميع أسماء الله. مع أنّ المعنى الصحيح للآية أنّه سبحانه علّمه كل شيء كما يتعلم بنو آدم، وليس بالتذوق كما يزعمون<sup>(٢)</sup>.

وهذان التفسيران محدثان لم يقل بهما أحد من الصحابة والسلف ﷺ، ولا أحد من علماء الإسلام، كما أنّها لا تتوافق مع الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ، ولا مع سياق الآيات التي ذكرت فيها.

#### ٤) الوجد:

يطلق الوجد في اللغة على عدة معان منها: إدراك الشيء، والغنى، والحب، والحزن، والشكوى<sup>(٣)</sup>.

وفي الاصطلاح: وارد جديد يجده الشخص من نفسه عقيب السماع<sup>(٤)</sup>. وقال الغزالي شارحًا هذا التعريف: «تلك الحالة لا تخلو عن قسمين: فإنها إمّا أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات، هي من قبيل العلوم والتنبيهات، وإمّا أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم؛ بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (٩٩/٢٢).

(٢) ينظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية (ص ٥٣٥-٦١٨).

(٣) ينظر: لسان العرب (٣/٤٤٥).

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٩٣).

والسرور والأسف والندم والبسط والقبض، وهذه الأحوال يُبيجها السماع ويقويها، فإن ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسمَّ وجداً، وإن ظهر على الظاهر سمى وجداً إمَّا ضعيفاً وإمَّا قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر»<sup>(١)</sup>.

والوجد مصدر من مصادر التلقي عند الصوفية، وله أنواع ودرجات، ووسائل وطرق استدعاء، ليس هذا مقام بيانها<sup>(٢)</sup>.

#### ٥) الأئمة المعصومون:

اتخذت طوائف الشيعة أئمة من آل بيت النبي ﷺ منحوهم العصمة، وجعلوا أقوالهم مصدراً لتلقي الدين، بل غلوا فيهم إلى درجة إعطائهم حقَّ التحليل والتحرير، قال المجلسي -أحد كبار علماء الشيعة- في رواية ينسبها للإمام جعفر الصادق يحكم فيها بحق الأئمة في التحليل والتحرير: «من أحلنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين فهو حلال؛ لأنَّ الأئمة منَّا مفوض إليهم، فما أحلُّوا فهو حلال وما حرَّموا فهو حرام»<sup>(٣)</sup>.

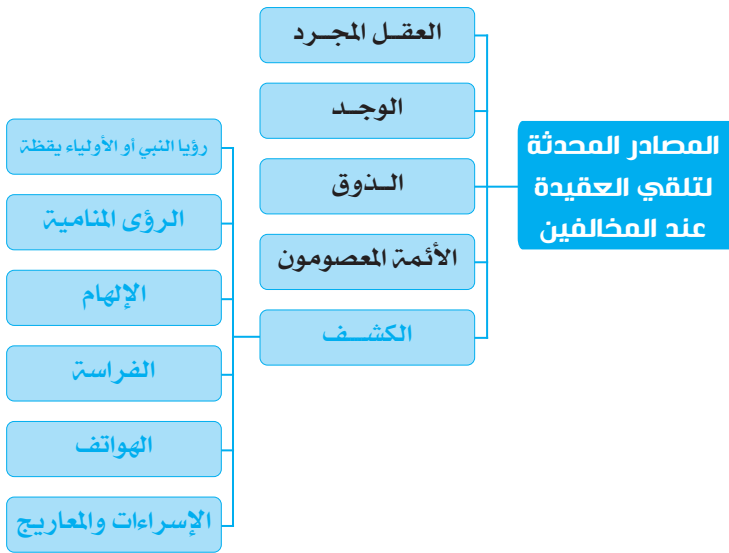
ولاشك أن اتخذ أحد من البشر مهماً بلغ من المنزلة إماماً في الدين، وجعل قوله مقدماً على قول الله وقول رسوله ﷺ من أشد الضلال، إذ الحججة في كلام الله وكلام نبيه ﷺ، وكل أحد من الأمة يؤخذ من قوله ما يوافق الوحي ويرد ما يخالفه، وإلا كان مشرّعاً من دون الله، والله تعالى إنما أنكر على المشركين اتخاذهم

(١) إحياء علوم الدين (٢/٢٩٣).

(٢) ينظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية (ص ٦٢١-٧٠٦).

(٣) بحار الأنوار (٢٥/٣٣٤).

رُؤَسَاءِ يَطِيعُونَهُمْ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].



### \* مقارنة بين منهج أهل السنة - أتباع السلف - ومنهج مخالفيهم:

هذه المصادر المحدثة كلها قد ردها أهل السنة والجماعة؛ ولم يعتمدوا في ثبوت العقائد إلا على الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، وما وافقها من العقل والفطرة، بل بينوا آثار منهجهم عليهم، وآثار المناهج المخالفة على أتباعها، ومن ذلك:

(١) إن كل فرقة من الفرق المخالفة تدعي أن الذي تعتقده هو ما كان عليه رسول الله ﷺ، لأنهم كلهم مدَّعون شريعة الإسلام ملتزمون في الظاهر شعائرها، غير أن الطرق تفرقت بهم بعد ذلك، وأحدثوا في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله،

وأبى الله أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، وقرناً عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله، وأخذ أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث.

٢) أن أهل الحق جعلوا الكتاب والسنة إمامهم وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووقفهم إليه، وإن وجدوه مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، وأمّا سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه؛ لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطهم وآرائهم فطلبوا الدين من قبلها، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرّفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه.

٣) توافق أهل الحديث على اعتقاد واحد في كل زمان، وذلك أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يجيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد وفعلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل. وأمّا إذا نظرت إلى أهل الأهواء

والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين، وشيعاً وأحزاباً، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يدع بعضهم بعضاً؛ بل يرتقون إلى التكفير، وتراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]. أو ما سمعت أن المعتزلة مع اجتماعهم في هذا اللقب يكفر البغداديون منهم البصريين، والبصريون منهم البغداديين، ويكفر أصحاب أبي علي الجبائي ابنه أبا هاشم، وأصحاب أبي هاشم يكفرون أباه أبا علي، وكذلك سائر رؤوسهم وأرباب المقالات منهم، إذا تدبرت أقوالهم رأيتهم متفرقين يكفر بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض. كذلك الخوارج والروافض فيما بينهم وسائر المبتدعة بمثابتهم، وهل على الباطل دليل أظهر من هذا؟ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

(٤) أن السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والاتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقين قلماً يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدر فيه. وأما دلائل العقل فقلماً تتفق، بل عقل كل واحد يري صاحبه غير ما يري الآخر، وهذا بيّن والحمد لله (١).



(١) ينظر: الحجة في بيان المحجة (٢/٢٣٧-٢٤٣).



## الوحدة السادسة

### أولاً: مسائل متعلقة بمصادر العقيدة:

المسألة الأولى: حجية خبر الأحاد.

المسألة الثانية: العلاقة بين النقل والعقل.

المسألة الثالثة: العلاقة بين النقل والعلم التجريبي.

### ثانياً: خصائص العقيدة الإسلامية.



## مسائل متعلقة بمصادر العقيدة

منذ وقع الافتراق في أمة محمد ﷺ إلى العصر الحديث لم تزل تظهر مسائل  
يكثُر فيها النقاش والجدل بين أهل السنة ومخالفهم، ومن أبرز تلك المسائل ما  
يلي:

### المسألة الأولى

## حجية خبر الأحاد في العقيدة

### \* نشأت تقسيم السنة إلى متواتر وأحاد:

لم يقسّم علماء الحديث السنة إلى متواتر وأحاد، ولم يجعلوا بعضها حجة في  
باب من الدين دون باب آخر، وإنما اشتهر هذا التقسيم عند علماء أصول الفقه،  
وبنوا عليه أنّ الأحاد لا يفيد العلم، ثم أُدخل هذا التقسيم في علوم الحديث  
بعد ذلك، وكان أول من أدخله الخطيب البغدادي:، ثم تابعه من ألف في علوم  
الحديث إلى عصرنا هذا، وأمّا المتواتر الذي يُوجد في كلام بعض علماء الحديث  
قبل الخطيب البغدادي إنما يقصدون به التواتر اللغوي لا الاصطلاحي الذي حدّه  
به علماء الأصول<sup>(١)</sup>.

(١) وحتى يتبين موقف المحدثين من هذا التقسيم أقول: إنّ الخبر المنقولة عن النبي ﷺ إمّا أن  
ينقله عامة الناس عن عامتهم، وهو ما يسمى بخبر العامة عن العامة، وإمّا أن ينقلها خاصة  
المشتغلين بالرواية عن النبي ﷺ، فالأول ليس من صنعة علوم الحديث، والثاني هو صنعتهم،  
فكل حديث يروى بالسند فهو من خبر الخاصة سواء رواه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو عشرة أو  
مئة، وهو قسم واحد، وكله حجة إذا صح سندا ومتنا. ينظر تحقيق هذا في كتاب: المنهج المقترح  
(ص ٩١-١٠١، ١٢٧-١٣٢).

وعلى كلِّ فالتواتر-باصطلاح الأصوليين- حجة في العقائد والأحكام، وهذا متفق عليه بين أهل السنة ومخالفهم، مع تقييد المخالفين له بعدم مخالفة العقل، أمَّا الآحاد فإنَّ أهل السنة يرونه حجة في الدين كلُّه: عقائد وشرائع، شريطة صحته سندًا ومتنًا، أمَّا أهل الكلام فيقولون: إنَّ دلالة ظنية؛ لذا لا يرونه حجة إلا في باب الأحكام أمَّا في العقائد فلا.

### \* أدلة الاحتجاج بأخبار الآحاد في العقيدة وغيرها:

استدل أهل السنة والجماعة-أتباع السلف- على صحة منهجهم في الاحتجاج بأخبار الآحاد في الدين كله -عقيدة وشريعة- بأدلة نقلية وعقلية نوجزها في الآتي:

(١) قول الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، ففي الآية دلالة على قبول خبر الواحد؛ حيث إنَّ الله تعالى أرسل الرسل -وهم آحاد- إلى أممهم ليبلغوهم العقائد والأحكام، وقامت الحجة على أقوامهم بإرسالهم؛ فلو لم يكن خبر الآحاد حجة في العقائد لما قامت الحجة على الناس بهم.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]. ففي الآية الحث على انتداب طائفة من الناس لتعلم العلم والقيام بمهمة التعليم والندارة لأقوامهم، والطائفة وصف للقليل بجانب الكثير، فقد تكون قليلة لا تصل إلى حدِّ التواتر، وهم سيتعلمون الدين: عقيدة وشريعة، ثم يبلغوه لأقوامهم وتقوم ببلاغهم الحجة عليهم، فدلَّ على أنَّ خبر الواحد حجة يجب العمل به وإلا لما قامت الحجة بهم.

(٣) قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦] ولو كان خبر الواحد غير مقبول لما توجه الأمر بالتثبت فيما يخبر به؛ خصوصاً إن جاء من فاسق، وبمفهوم المخالفة أن خبره مقبول إذا كان عدلاً.

(٤) أن القول بأن خبر الواحد يفيد الظنّ مطلقاً ليس بصحيح؛ فإنّ من أخبار الآحاد ما يفيد اليقين إذا دلّت القرائن على صدق القائل، أو تلقّته الأمة بالقبول، فيجب العمل به.

(٥) لو كانت العقائد لا تثبت بأخبار الآحاد ولا تقوم بها الحجة لما بعث النبي ﷺ رسلاً أفراداً إلى الملوك والبلدان يدعونهم إلى الإيمان بالله، كما بعث معاذاً إلى اليمن، وكذلك عليّاً وأبا موسى الأشعري ﷺ ليدعوا الناس ويعلموهم الدين.

(٦) أن القول بعدم حجّية خبر الآحاد في باب العقيدة مخالف لإجماع السلف على قبوله، وهو قول محدث مبتدع في الدين لم يُعرف في زمن الصحابة ولم يقل به أحد منهم.

(٧) أن عدم الاحتجاج بأخبار الآحاد يؤدي إلى إنكار كثير من العقائد، وتخطئة السلف في اعتقادهم بها واعتبارها ديناً، كإنكار عذاب القبر ونعيمه، ورؤية الله في الآخرة، وهذا يُصير ديننا غير دينهم وعقائداً غير عقائدهم.



## المسألة الثانية

### العلاقة بين النقل والعقل

#### \* أهمية العقل وموقف الناس منه:

إنَّ للعقل دورًا مهمًّا في تقرير العقيدة وفهم الدين، وليس ثمة دين يقوم على احترام العقل الإنساني وتكريمه، والاعتماد عليه في فهمه كما في الإسلام، ولكنَّ العقول قاصرة عن إدراك كثير من مسائل الاعتقاد-خاصة الأمور الغيبية- مع أنَّها تقرُّ بها ولا تحيلها، كإدراك حقيقة الروح، وكيفية صفات الله تعالى، وغير ذلك من المغيبات، التي ليست من مدارك العقل ولا هي في متناوله.

وإنَّما دخل الضلال على بعض الأمة بسبب تكليفهم العقل فوق طاقته، حيث جعلوه مصدرًا أصليًّا للدين وغيره من المصادر تبعًا له، قال ابن تيمية رحمه الله: «ولما أعرض كثير من أرباب الكلام والحروف وأرباب العمل والصوت عن القرآن والإيمان تجدهم في العقل على طريق كثير من المتكلمة، يجعلون العقل وحده أصل علمهم، ويفردونه، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن.

وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيونه ويرون أنَّ الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرُّون من الأمور بما يُكذَّب به صريح العقل، ويمدحون السكر والجنون والوله وأمور من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتميز، كما يصدقون بأمر يُعلم بالعقل الصريح بطلانها ممن لم يُعلم صدقه.

وكلا الطرفين مذموم؛ بل العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاحي الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنّه ليس مستقلاًّ بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة. فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة. والرسول جاءت بما يعجز العقل عن دركه، ولم تأت بما يُعلم بالعقل امتناعه، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم، اعتقدوها حقاً وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به. والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم.

وقد يقترب من كل من الطائفتين بعض أهل الحديث تارة بعزل العقل عن محل ولايته، وتارة بمعارضة السنن به<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يتبين أنّ تعارض النص الصريح من الكتاب والسنة مع العقل الصحيح غير متصور أصلاً؛ بل هو مستحيل، فإذا تُوهم التعارض فهو بسبب عدم فهم النقل، أو لفساد العقل، فإنّ الوحي مقدم ومحكم.

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، (٣/٣٣٨).

### \* أسباب عدم استقلال العقل عن الوحي؛

إنَّه مما يزيد الأمر وضوحاً أنَّ العقل لا يصلح أن يستقلَّ عن الوحي، بل صلاحه في اتِّباع الوحي للأسباب التالية:

(١) أنَّ العقول البشرية قد خلقها الله تعالى محدودة الإدراك؛ فلا يمكن أن تتجاوز ما حدَّه الله لها، ومسائل العقيدة لا تدخل تحت إدراك العقل بمنأى عن الوحي، إذ لا يمكن للعقل المجرد أن يدرك على وجه التفصيل مَنْ خالق الكون وما أسأؤه وصفاته، ولا أن يدرك ما في الجنة من النعيم ولا ما في النار من أنواع العذاب، إلى غير ذلك من مسائل العقيدة وجزئياتها.

(٢) أنَّ عقول الناس متفاوتة، ولهذا تختلف كثيراً في تقدير الحسن والقيح من الأفعال الدنيوية فضلاً عن إدراكها للأمور الغيبية؛ فإنَّها ستكون أشدَّ اختلافاً وتعارضاً، وهذا لا يتناسب مع الدين؛ لأنَّ الدين من طبيعته يجمع الناس ويوحِّدهم على اعتقاد واحد وشريعة واحدة.

(٣) أنَّ العقول تتأثر بما يحيط بها من مؤثرات؛ فيدفعها ذلك لمخالفة الصواب والخطأ في الأحكام، وهذا ملموس مشاهد في واقع الناس، فكيف بأمر العقيدة ومسائلها الغيبية فاحتمال التأثر بالأفكار المخالفة أكبر؛ مما سيؤدي للخطأ في استنتاج المسائل العقديّة.

فهذه تكشف لنا قصور العقل، وتبين حاجته للوحي حتى يدرك مسائل العقيدة كحاجة الأرض للمطر، والكون لضوء الشمس.



## المسألة الثالثة

## العلاقة بين النقل والعلم التجريبي

## \* تعريف العلم التجريبي:

هو العلم الذي يُتوصَّل إليه عن طريق المنهج التجريبي المحسوس كالفيزياء والكيمياء وعلوم الطب. فيخرج بذلك سائر العلوم التي لا تعتمد على التجريب، كعلوم العقيدة، والتاريخ، والاجتماع؛ لأنَّها لا تعتمد في دراساتها المنهج التجريبي؛ وإنما تتخذ المناهج المناسبة لها، كالمنهج الاستقرائي، والتحليلي، والوصفي... إلخ.

## \* موقف الإسلام من العلم التجريبي:

إنَّ العالم بالوحي المدرك لحقائق الدين يعلم يقيناً أنَّ الإسلام قد لفت أنظار البشرية إلى أنواع من طرق المعرفة والعلم، كالتفكير، والنظر والتأمل، والقياس والاعتبار وغيرها، ومما يدل على ذلك ما يلي:

(١) أنَّ أول آية نزلت من القرآن تحث على القراءة - وهي إحدى وسائل المعرفة إن لم تكن أبرزها - فقال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

(٢) الحث على العلم، ونفي التسوية بين العالم وغيره، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]. بل رفع مكانتهم فقال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

(٣) تضمن القرآن خمسين آية في تحريك العقل البشري، وعشراتها في إيقاظ الحواس من سمع وبصر ولمس، وعشراتها أيضا في التفكير والتفقه والتأمل، وآيات كثيرة أخرى في طلب البرهان والحجة والجدال والتي هي أحسن.

(٤) إخبار الوحي كتاباً وسنةً عن حقائق تعتبر من صميم ما توصل له العلم التجريبي كإثبات كروية الأرض، وتلاحم الأرض والسماء أول الخلق، وجريان الشمس، والإعجاز في خلق الذباب، ونحو ذلك من الحقائق التي لم يصل العلم التجريبي لها إلا في العصر الحديث، فهذا الإخبار يكشف مدى التوافق بين العلم والدين؛ فإن العلم الحقيقي يُصدّق النقل الصحيح ويبرهن عليه.

(٥) بروز علماء مسلمين في العلم التجريبي منذ القرن الهجري الثاني، كأمثال جابر بن حيان في الكيمياء، وأبو بكر الرازي في الطب، وأبو الريحان البيروني الخوارزمي في الرياضيات والفلك، وغيرهم كثير<sup>(١)</sup>، ولهم آراء واكتشافات في العلوم التجريبية فلم ينكر فعلهم أحد من علماء الشريعة<sup>(٢)</sup>، وما حوكموا بسببها -مع أن الإسلام وقتها ما زال ظاهراً والدولة التي تحكم به قوية- فهذا يدل على أن الإسلام لا يرفض هذا النوع من العلم، بل يقبله إذا كانت نتائجه لا تعارض القطعي الثابت في الوحي.

(٦) أن الإسلام قد أسس منهجاً علمياً جديداً يضاف لمناهج المعرفة والعلوم، حيث أضاف العلماء المسلمون إضافات صارت فيما بعد دعائم لما عُرف بالمنهج

(١) ينظر بحث: جهود علماء المسلمين في إرساء المنهج العلمي، أ.د. محبوب محمد الحسين، في مجلة دراسات تربوية، السنة السادسة، العدد السادس، (١٤٥-٢٠١)

(٢) المقصود أنهم لم يُنكر عليهم علمهم التجريبي، وإنما قد ينكر على بعضهم مخالفتهم للحق في باب العقيدة أو غيرها.

التجريبي، ومن أبر تلك الإضافات مبدأ العلية بين الأشياء كأساس للمعرفة العقلية، والنظرة الكاملة للكون والكائنات والتناسق فيما بينها، فكانت في مجموعها قوام المنهج التجريبي الذي نتاه العلماء الغربيون كديكارت، وجاليليو، وفرانسيس بيكون، حتى اكتمل المنهج التجريبي المعروف اليوم<sup>(١)</sup>.

### \* نشأت القول بتعارض الدين والعلم:

لم يوجد على مرّ تأريخ البشرية صراع بين العلم والدين، مع أنّ الدين كان هو المهيمن على الحياة البشرية في كثير من أحقابها التاريخية، ومع ذلك كان العلم والدين متوائمين دون نزاع.

وترجع بداية الصدام بينهما إلى القرون الوسطى الأوربية، حيث كانت أوروبا حينها دولاً نصرانية قد تمكن الدين النصراني المحرف -ممثلاً في الكنيسة- من السيطرة على الحياة البشرية في جميع نواحيها، في السياسة والاجتماع، والاقتصاد؛ بل امتدت سيطرته إلى العلم والفكر، فكانت تُحرّم على أتباعها البحث وإبداء الرأي في العلوم الطبيعية، إذ يُعد هذا كفراً بالرب، فلا تُقبل فكرة ولا رأي إلا بعد موافقة الكنيسة ومصادقتها عليه، فإن لم تقبله فيجب الرجوع عنه وإلا عوقب صاحبه أمام الملائم بتهمة معارضة الدين وإغضاب الرب.

وبناء على هذا الموقف المحرم لكل أنواع العلوم والمعارف الدنيوية حوكم أشخاص على احترام هذه السيطرة والبوح بآراء لم توافق عليها الكنيسة، حيث حُكم على كوبرنيكوس وجاليليو بالإعدام؛ لقولهم بكروية الأرض، فقتل الأول ونجا الآخر لما تراجع عن قوله إرضاء لهم وإنقاذاً لنفسه من الموت.

(١) ينظر: مقال: المنهج العلمي التجريبي الإسلامي، مجلة دعوة الحق، العدد (١٣١، ١٣٢).

إذن، طغيان الكنيسة المسيحية الكاثوليكية الممثلة للدين المحرّف هو سبب نشوء التعارض بين العلم والدين، بموقفها المتصلب من العلم؛ لأجل تكريس نفوذها وسلطانها على الناس، ونسبة ذلك إلى الرب والدين ومخالفة العقيدة ترهيباً لهم.

وهذا الطغيان الكنسي على الناس في جميع المجالات سبّب تشويه صورة الدين في نفوس الأجيال النصرانية الأوروبية؛ مما دفعهم فيما بعد للسعي إلى إزاحة هذا السلطان، والتمرد على الطغيان، فكانت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، لينقلب العالم الغربي على كل مظاهر الحياة التي كانت قبل الثورة: في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والقيم والأخلاق، ومن ثمّ حُوصِرَ الدين داخل جدران الكنيسة فقط، فمن شاء جاءه، ومن لا يريد لا يُحاطب به أبداً.

وبسبب هذه الممارسات رسخت صورة سيئة عن الدين في أذهان الشعوب الغربية، وتوارثتها الأجيال، حتى ظهر التمرد على كل شيء، فرفضوا كل المفاهيم الدينية حقّها وباطلها، فلم يقبلوا أي تفسير ديني لأي ظاهرة علمية، حتى ولو كان هذا التفسير يحمل شيئاً من الحقيقة<sup>(١)</sup>.

### ❖ هل يتعارض العلم التجريبي مع الدين الصحيح (الإسلام)؟

حتى يتضح الجواب على هذا التساؤل نقدم بمقدمتين:

**الأولى:** أن الوحي من الكتاب والسنة منه قطعي الدلالة على المراد ومنه الظني المتشابه، فالمسلمون جميعاً يؤمنون بالقطعي المحكم ويعملون به، وأمّا

(١) من أبرز الأمثلة على هذا الرفض العلم المعاصر في الغرب التفسير الديني الذي يكشف أصل البشرية، وأنّ الله تعالى خلق آدم بيده من الطين، ونفخ فيه من روحه، وخلق من جنبه زوجة حواء، لا لعدم صلاحية هذا التفسير؛ وإنّما لأنّه تفسير ديني، ومنهجهم العلمي الحديث قد استبعد كل ما يمت للدين بصلة، فأثروا قبول نظرية التطور والارتقاء التي قال بها داروون- مع أنّ العقول الصحيحة لا تقبلها- ورفضوا التفسير الصحيح.

المتشابه فيفهمه العلماء الراسخون في ضوء المحكم، وأمّا عامة الناس فقد يخفى عليهم، وهذا ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

**الثانية:** أن العلم التجريبي منه حقائق علمية<sup>(١)</sup>، وهذا يمكن أن نصفه بأنه قطعي، ومنه ما يزال فرضيات أو نظريات لها تبلغ مرتبة الحقائق العلمية، وهذا النوع هو: الظني.

### وبناء على هاتين المقدمتين نقول:

إنّ القطعي من الدين والعلم لا يمكن تعارضهما، وإن ظهر التعارض بينهما فهو إمّا تعارض في ذهن الناظر فقط وليس في الحقيقة، أو أنّ العلم لم يصل لدرجة الحقيقة العلمية بعد.

وأمّا إذا تعارض القطعي من الدين مع الظني العلمي، فهذا يمكن أن يقع، والواجب فيه إثبات ما أثبتته الدليل النقلي، واعتقاد خطأ العلم التجريبي.

وإما أن يتعارض القطعي من العلم التجريبي مع الظني الديني فالمعتبر ما وصل إليه العلم لعدم المعارض الشرعي المعتبر.

(١) تمر التجربة العلمية بثلاث مراحل: الفرضية: وهي مجرد رأي يحتمل الصواب والخطأ، فتحتاج إلى العديد من الاختبارات التي تؤكد أو تنفيها، فإن وجدت نتائج تقويها وُصفت حينئذ بأنها نظرية، فيزيد اختبارها ودراستها، فإن صحت اختباراتها سُميت حينئذ حقيقة. فهي ثلاث مراحل متتابعة: الفرضية، ثم النظرية، ثم الحقيقة.

وأما تعارض الظني من النقل والعلم التجريبي فيما بينهما فهذا يقع كثيراً، فيكون حينئذ من المواضيع غير المحسومة، التي يُتَظَرَّ فيهما مزيد من الدراسات والتجارب حتى تتم البرهنة على صحتها فتكون قطعية فتقدم، أو يتبين خطأها فينتفي التعارض.

الدليل الشرعي (الوحي)		..... ..... ..... ..... .....	
ظني الدلالة	قطعي الدلالة		
المعتبر ما يدل عليه العلم التجريبي لعدم المعارض الشرعي	لا يمكن وقوع تعارض حقيقي	قطعي (حقيقة علمية)	العلم التجريبي
مسألة غير محسومة تحتاج إلى مزيد بحث ونظر	المقدم الدليل الشرعي والعلم التجريبي خطأ يقيناً	ظني (فرضية أو نظرية)	



## خصائص العقيدة الإسلامية

**الخصائص:** جمع خصيصة، وهي تتضمن معنى الانفراد<sup>(١)</sup>. قال الراغب: «التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصيص: تفرّد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم»<sup>(٢)</sup>.

**وخصائص العقيدة الإسلامية هي:** الميزات والصفات التي تفرّد بها عقيدة الإسلام عن غيرها من العقائد.

وقد اختلفت العقيدة الإسلامية بخصائص تميزها عن سائر العقائد،  
ومن أبرزها ستُ نبينها فيما يلي:

### الأولى: الفطرية:

**الفطرية تعني:** التوافق مع ما فطر الله الناس عليه، من الإقرار به وتوحيده. وهذا الإقرار ناتج عن الميثاق الأول الذي أخذه الله تعالى على البشرية وهم في أصلاب آبائهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقد وصف الله الإسلام -الذي بعث به الرسل وأنزل به الكتب- بموافقة فطرة البشرية، فهو الجدير بالتزام الناس به وثباتهم عليه فقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ

(١) ينظر: لسان العرب (٧/٢٥).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص ٢٨٤).

لِلَّذِينَ حَنِيفًا فُطِرَتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ  
الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[الروم: ٣٠].

وهذه الخصيصة تدفع أصحابها الذين لم تُدَنَس فطرهم إلى المسارعة لاعتناق الدين الحق والتصديق به، إذ لا يصدُّ عن الحق أحد إلا إذا تبدلت فطرته وانحرفت عمَّا فُطِرَ عليه.

### الثانية: التوقيفية:

التوقيفية تعني: أن العلم بالعقيدة الإسلامية متوقف على الوحي، فما أثبتته الوحي وجب قبوله وإثباته والإيمان به، وما نفاه وجب نفيه والكفر به، وما سكت عنه لم يجز تكلف معرفته.

وهذا يُعلم أنه يجب على المسلم أن يقف فيها عند حدود ما بينه الله لعباده، وسبب ذلك: أمَّها ربانية المصدر، لم تكن باجتهاد بشري أو استدلال عقلي، أو نتاج خبرات وتجارب الأمم، إذ لا يمكن لعقول الناس وأفكارهم أن تزيد فيها شيئاً أو تنقص منها؛ بل الواجب فيها الاتباع للوحي فحسب، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿[يونس: ١٠٨، ١٠٩].

ولمَّا طلب الكفار من النبي ﷺ تغيير ما يدعوهم إليه اعتذر بأنه لا يحق له تغيير شيء مما كُلف بإبلاغه ودعوة الناس إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتُتُّ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ



قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ [يونس: ١٥].

### ويظهر أثر هذه الخصيصة في أمرين:

**الأول:** عصمة الأمة الإسلامية في مجموعها من الخطأ والزلل والانحراف والاختلاف في العقيدة؛ لأن مصدرها واحد، وهو الله تعالى، والمبين لها: الوحي المطهر المحفوظ من التبديل والتغيير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

**الثاني:** جمع كلمة المسلمين على الحق، فمتى اتفقوا على اعتقاد واحد، صادر عن مصدر واحد توحدت صفوفهم واجتمعت كلمتهم، وأمنوا من الاختلاف والتفرق.

### الثالثة: الغيبية:

معنى الغيبية: أن العقيدة الإسلامية تُبنى على أصول غيبية لا تخضع لإدراك الحواس البشرية، وإنما تقوم على التسليم المطلق للوحي.

فالإيمان بالله وما يتعلق به، والإيمان بالملائكة والكتب والرسول، واليوم الآخر وما يكون فيه، والجنة والنار وصفاتهما، والقدر، كلها أمور غيبية لم يعلمها أحد من البشر قبل إخبار الوحي عنها، ولهذا جعل الله تعالى أولى صفات المتقين إيمانهم بالغيب فقال: ﴿الْعَمَّ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ١-٥].

ولا يقدر في الغيبية رؤية بعض المؤمنين لبعض الرسل، أو مشاهدتهم لبعض علامات الساعة أو نحو ذلك من الأمور التي أخبر بها الوحي؛ لأنَّ الإيمان بها سابق لمشاهدتها وإدراكها، ثم إن أدرك أحدٌ أحدًا من الأنبياء فإنَّه لا يصح منه إيمانه به حتى يؤمن بالآخرين، ولا يمكنه ذلك إلا بالإيمان بالغيب.

وهذه الخصيصة هي الفارق بين العقيدة الصحيحة والفلسفات الوضعية التي لا تؤمن إلا بما يدرك بالحواس ويخضع للتجربة، إذ لا قيمة للإيمان بالمحسوس ولا ميزة لأحد على أحد فيه؛ إنَّما يقع التمايز في الإيمان بما وراء الحس مما أخبر به الأنبياء ﷺ.

#### الرابعة: الشمول والتكامل:

إنَّ شمول العقيدة يبرز في كونها تصحح النظر للوجود كله، فتعرِّف الناس على الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وحقوقه على عباده، وتكشف لهم مبدأ الحياة ومنتهاها وما يكون فيها، والإنسان وخلقها والغاية من وجوده وما ينتظره من الجزاء والحساب، ومما يدلُّ على هذا قول النبي ﷺ: «تَرَكَتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنْهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»<sup>(١)</sup>، وقال أيضًا: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»<sup>(٢)</sup>. وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقبِّب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا<sup>(٣)</sup>. وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم (٤٣).

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم (١٨٤٤).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير رقم (١٦٤٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٠٣).

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم (٣١٩١).

ويظهر تكاملها فيما هو كائن بين أصول الاعتقاد الستة، فلا يصح الإيمان بواحد منها دون غيره، ورأسها وأساسها الإيمان بالله واليوم الآخر، ولهذا يذكرهما الله تعالى في كثير من الآيات، سواء التي يُثني فيها على المؤمنين به، الممثلين لشرعه، أو التي يعاتب فيها على التقصير في حقه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [النساء: ٣٨، ٣٩].

وإنَّ لهذه الخصيصة أثر كبير في التناسق بين الفطرة التي فطر الله الناس عليها والدين الذي شرعه، فكل جانب منهما يدعو إلى صاحبه ويصدقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ أَيْلُ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

### الخامسة: الثبات والدوام:

**الثبات:** الاستقرار والحفظ من الزيادة والنقصان. والدوام: الاستمرار إلى قيام الساعة.

إنَّ عقيدة الإسلام أنزلت لتدوم على مرَّ الأزمنة محفوظة من التغيير والتبديل إلى قيام الساعة، فهي ثابتة في ذاتها دائمة في حالها، وسبب ذلك أمران:

**الأول:** حفظ الله تعالى لألفاظ الوحي التي نزل بها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

**والثاني:** حفظ معانيها من التغيير والتبديل، فليس لأحد تبديلها أو الزيادة فيها أو النقص منها، فهي ثابتة باقية لن تمتد لها يد التغيير كما امتدت لما جاء به الأنبياء قبل محمد ﷺ .

وقد ثبت في الحديث النهي عن الابتداع في الدين والزيادة فيه أو النقص منه؛ حتى لو كان بحسن نية وسلامة قصد، فقال ﷺ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup>. وتوعّد الله تعالى الذين تسول لهم أنفسهم ذلك فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ويظهر أثر هذه الخصيصة في دوام الحجة على الناس، فكل من أراد الحق وجده، شريطة سلامته من التعصب والتقليد المذموم الذي كان سبباً في ضلال الأمم السابقة، وأيضاً: فإنّ حملة هذا الحق باقون معروفون للناس على مرّ الأزمنة حتى يرسل الله تعالى الريح قبيل القيامة تقبض كل نفس مؤمنة، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

### السادسة: التوسط والاعتدال:

**هو:** الاستقامة بين طرفي الضلال، فالدين الحقُّ وسط بين الغالي فيه والجانبي عنه، والعقيدة اكتسبت وسطيتها من وسطية الدين الذي اختاره الله لأمة محمد رضي الله عنه، وبين ذلك في قوله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، حديث رقم (٢٦٩٧)، ومسلم، حديث رقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم (١٩٢٠).

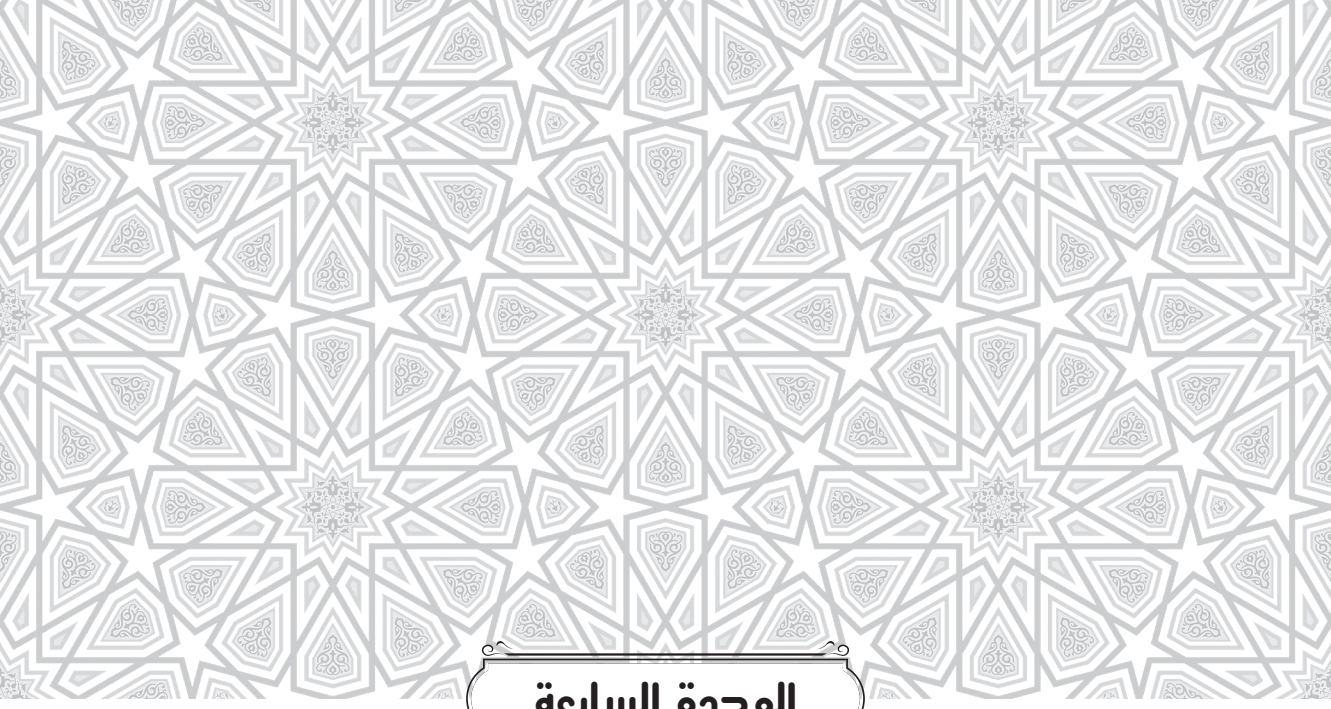
فالأمة وسط باختيار الله لها، لا بما تختار بنفسها، فكل ما شرعه الله تعالى من العقائد والأحكام والأخلاق يمثل الوسط الذي يرتضيه الله لهم.

وإذا تأملنا العقيدة الإسلامية وجدناها وسطاً بين أهل الملل والنحل، فهي وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون برب ولا يدينون بدين، وبين من يثبتون آلهة متعددة في الكون الواحد، وفي الرسل وسط بين من ينكرون الرسالة ومن يرفعون الرسل أو بعضهم إلى مقام الربوبية.

وهي أيضاً وسط بين الغالي من الفرق والجافي، فهم وسط في الصحابة وآل بيت النبي ﷺ بين من لم ير لهم حقاً ولا فضلاً؛ ومن يغلو فيهم أو في بعضهم فيمنحه العصمة. وكذلك بين من يكفر بالمعصية ومن يرى أن المعصية لا تضر الإيمان... إلخ.







## الوحدة السابعة

# تدوين علم العقيدة





## تدوين علم العقيدة

### \* تاريخ تدوين العقيدة:

لم يكن المسلمون بحاجة إلى التدوين في العلوم الشرعية كلها مع وجود الرسول ﷺ بين ظهرانيهم، حيث يتلقون عنه مباشرة جميع المسائل الدينية: عقيدة وشريعة، ومتى وقع لأحدهم مسألة بادر إلى سؤاله ﷺ عنها، ومن هنا لم تكن الحاجة للتدوين قائمة.

واستمر الحال على هذا زمن الصحابة الكرام ﷺ، فالناس يسألونهم وهم يجيبون، والحق ظاهر والباطل لم يكن موجوداً؛ بل حتى لما وُجدت أوائله كانوا يردونه ويجيبون عن أسئلة الناس عنه، ويناظرون القائلين به إن احتاج الأمر لذلك، كجواب ابن عمر ﷺ في مسألة القدر<sup>(١)</sup>، ومناظرة ابن عباس ﷺ للخوارج<sup>(٢)</sup>، وكانت أجوبتهم لا تكاد تخرج عن الآيات والأحاديث.

(١) عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد ابن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوقف لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد، فاكتفتته أنا وصاحبي، أهدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت: أبا عبدالرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يخلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر... ثم ذكر حديث جبريل الطويل وفيه بيان أركان الإيمان. أخرجه مسلم، حديث رقم (٨).

(٢) القصة بكاملها أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم (١٧١٨٦).

وينبغي التنبيه على أن القول بعدم الحاجة للتدوين لا يعني نفي الكتابة مطلقاً، بل ثبت أن رجالاً من الصحابة والتابعين كانوا يكتبون الأحاديث، إلا أن كتابتهم لأنفسهم وليست للقراءة على الناس أو إتاحتها لمن شاء نسخها وتداولها، ومن أثر عنه كتابة بعض السنن: سمرة بن جندب، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وجابر ابن عبدالله رضي الله عنه، وهمام بن منبه - من التابعين - وكان يكتب عن أبي هريرة رضي الله عنه... وغيرهم كثير.

### \* أبرز أسباب تدوين علم العقيدة:

يمكن استخلاص أهم الأسباب التي أدت إلى تدوين علم العقيدة، وهي على النحو التالي:

- ١- ابتداء تدوين العلوم الشرعية في كتب متخصصة مما دعا للتأليف في علم العقيدة مثلها مثل سائر العلوم الشرعية.
- ٢- الافتراق وظهور البدع، كالتشيع، وبدعة الخوارج والجهمية ثم المعتزلة والصفوية... إلخ، حيث كان التدوين أعظم سبيل تسلكه كل فرقة لنشر آرائها وأفكارها، مما دعا للتأليف في الاعتقاد وبيان الحق فيه والرد على المخالفين.
- ٣- احتكاك المسلمين بأهل الديانات الأخرى؛ حيث كان له أثر كبير في حركة التدوين للحاجة الملحة لكُتُبٍ تردُّ على أهل الديانات كاليهود والنصارى وغيرهم.
- ٤- ترجمة الكتب الفلسفية وما أدخلته من مباحث وآراء لا توافق الحق، وتأثر بعض المسلمين بها؛ فظهرت الكتابات في علم العقيدة ونقد الفلسفة وبيان مخالفتها للحق.

- ٥- حدوث نوازل عقدية لم يتطرق لها العلماء من قبل كما في مسائل الصفات والقدر.
- ٦- كثرة الأهواء وجهل الناس بالعقيدة الصحيحة استدعت كتابتها؛ حتى لا يُنسب للسلف أقوال ومذاهب ليست لهم.
- ٧- طلب التلاميذ أو الناس من العلماء الكتابة في مسألة أو مسائل في العقيدة<sup>(١)</sup>.

### \* مراحل تدوين علم العقيدة:

مرّ تدوين علم العقيدة بمرحلتين أساسيتين:

**الأولى: التدوين الشامل:** وهو تدوين السنة النبوية دون تمييز أبواب العلوم الشرعية عن بعضها، وقد ابتداءً هذا التدوين الرسمي للسنة في آخر القرن الأول، حين طلب الخليفة عمر بن عبدالعزيز من والي المدينة في عهده أبي بكر بن محمد بن حزم أن يسعى في كتابة العلم وإرساله إليه فقال: (انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء)، وكتب أيضًا إلى محمد بن شهاب الزهري-عالم المدينة وشيخ الإمام مالك- أن يكتب حديث رسول الله ﷺ، «ثم تتابع العلماء على التدوين، فقلَّ أن تجد بلدًا من البلدان إلا وفيه عالم يجمع ويكتب، ففي مكة: ابن جريج وابن إسحاق، وفي المدينة: سعيد بن أبي عروبة ومالك بن أنس، وفي البصرة: حماد بن أبي سلمة، وفي الكوفة: سفيان الثوري، وفي اليمن: معمر، وفي مصر: الليث بن سعد، وفي الشام: الأوزاعي، وبواسط: هشيم ابن بشير، وبخراسان: عبدالله بن المبارك، وبالري: جرير بن عبد الحميد»<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: منهج أهل السنة في تدوين العقيدة للحنيني (١/٥٣، ٣٦٤، ٣٦١)، تدوين علم العقيدة

عند أهل السنة والجماعة للطريف (ص ١٥-٢٣).

(٢) تاريخ تدوين العقيدة السلفية (ص ١١).

وفي منتصف القرن الثاني والقرن الثالث توسَّع تدوين السنة وترتيب أحاديثها على أبواب الدين، وكان بعض المحدثين يقسِّمون كتبهم إلى كتب بداخلها، وفي كل كتاب عدد من الأبواب، وتحت كل باب عدد من أحاديث العقيدة المتعلقة بذلك الباب، كما فعل الإمام مالك في الموطأ حين جعل فيه كتاباً عن القدر وآخر عن صفة جهنم، والبخاري جعل في صحيحه كتاب: بدء الوحي، والإيمان، والاعتصام بالكتاب والسنة، والتوحيد. ودرج على هذا كثير ممن ألف في الحديث على الأبواب من مؤلفي الجوامع والسنن. قال ابن تيمية رحمته الله: «إنَّ كتب الصحاح والسنن والمسانيد هي المشتملة على أحاديث الصفات؛ بل قد بُوِّب فيها أبواب مثل: كتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية، الذي هو آخر كتاب صحيح البخاري، ومثل كتاب الرد على الجهمية في سنن أبي داود، وكتاب النعوت في سنن النسائي، فإنَّ هذه مفردة لجمع أحاديث الصفات، وكذلك قد تضمن كتاب السنة من سنن ابن ماجه ما تضمنه.

وكذلك تضمن صحيح مسلم وجامع الترمذي وموطأ مالك ومسنند الشافعي ومسنند أحمد بن حنبل ومسنند موسى بن قرة الزبيدي، ومسنند أبي داود الطيالسي ومسنند ابن وهب ومسنند أحمد بن منيع ومسنند مسدد، ومسنند إسحاق بن راهويه ومسنند محمد بن أبي عمر العدني ومسنند أبي بكر بن أبي شيبة ومسنند بقي بن مخلد، ومسنند الحميدي ومسنند الدارمي ومسنند عبد ابن حميد ومسنند أبي يعلى الموصلي ومسنند الحسن بن سفيان ومسنند أبي بكر البزار، ومعجم البغوي والطبراني وصحيح أبي حاتم بن حبان وصحيح الحاكم وصحيح الاسماعيلي والبرقاني وأبي نعيم والجوزقي وغير ذلك من المصنفات الأمهات التي لا يحصيها إلا الله، دع ما قبل ذلك من مصنفات حماد بن سلمة وعبدالله بن المبارك وجامع

الثوري وجامع ابن عيينة ومصنفات وكيع وهشيم وعبد الرزاق، وما لا يحصيه إلا الله»<sup>(١)</sup>.

### الثانية: التدوين المستقل:

لقد بدأ علماء السلف التأليف المستقل في العقيدة من مرحلة مبكرة أيضاً، إذ لم يكتفوا بتدوينها في دواوين السنة؛ وإنما أفردوها بكتب خاصة لا يذكر فيها إلا المسائل العقديّة فقط.

وأود التنبيه إلى أنّ هذا لا ينفي تدوين مسائل من العقيدة في الرسائل والمكاتبات والأجوبة التي يسأل عنها العلماء فيحررون الأجوبة مكتوبة، فهذا قد بدأ مبكراً جداً.

وعند تتبع التاريخ نجد أنّ أول كتاب ألف مستقلاً في العقيدة كتاب: الفقه الأكبر، لأبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (ت ١٥٠)، وقد اشتمل هذا الكتاب على خمسة أبواب فيها أربعة مسائل من مسائل العقيدة: القدر، والمشية، والرد على من يكفر بالذنوب، والإيمان.

ثم ألف حماد بن سلمة (ت ١٦٧) كتابه: الصفات، وعبدالله بن فروخ (ت ١٧٥) كتاب: الرد على أهل البدع، والإمام مالك (ت ١٧٩) كتاب: القدر والرد على القدرية.

وفي القرن الثالث والرابع الهجريين توسع التدوين المستقل لعلم العقيدة، وقد سلك السلف فيه طريقتين مشهورتين - سيأتي بيانها - حتى صارت مؤلفات هذين القرنين المادة العلمية لمعرفة اعتقاد السلف ومنهجهم وطريقتهم في

(١) الفتاوى الكبرى (٦/٣٣١).

الاستدلال، وكل من جاء بعدهم استفاد منها فاستنبط المنهج في الاستدلال، أو حرر القواعد الضابطة للمسائل، كما فعل ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من العلماء<sup>(١)</sup>.

### ✽ طريقة السلف في تدوين علم العقيدة:

لم تكن طريقة السلف في تدوين علم العقيدة واحدة؛ وإنما تنوعت على حسب الغرض الداعي للتأليف، ولا تكاد تخرج طريقتهم عن الطريقتين التاليتين:

#### الأولى: طريقة العرض:

والمقصود بها: عرض مسائل العقيدة الصحيحة. وهذا العرض على حالين:  
**الأول:** عرض جميع مسائل العقيدة أو أكثرها في مؤلف واحد، وقد كانوا يرتّبون أبواب العقيدة في كتبهم حسب أهميتها، فيبدوون باب توحيد الله في أسمائه وصفاته، ثم ما يتعلق بذلك من مسائل، كمسألة القرآن، والرؤية، والاستواء، ثم مسألة القدر، ومسألة الإيمان، ثم ما يتعلق باليوم الآخر... وهكذا<sup>(٢)</sup>.

**الثاني:** عرض باب أو مسألة واحدة من مسائل العقيدة فقط دون غيره، وقد امتازت هذه الكتب بعرض المسألة والاستدلال عليها بالمنقول والمعقول بأسلوب واضح يعتمد دلالة النصوص الشرعية والآثار المروية عن السلف في ذلك<sup>(٣)</sup>.

#### وقد سلك السلف في عرض العقيدة مسلكين:

(١) جمع النصوص الشرعية والآثار عن السلف في باب أو مسألة أو مسائل عقديّة، وأحياناً يتم التعليق عليها وشرحها، ككتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن

(١) ينظر: تاريخ التدوين في أصول الدين (ص ٢٨-٣١).

(٢) ينظر: تدوين علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة (ص ٦٥).

(٣) ينظر: المصدر نفسه (ص ٢١٧، ٢٨٢).

سلام (ت ٢٢٤هـ)، وكتابا: القدر، وصفة النفاق وذم المنافقين، لجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي (ت ٣١٠)، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (ت ٣١١):، والتوحيد لمحمد بن إسحاق بن منده (ت ٣٩٥).

٢) بيان العقيدة الصحيحة ومنهج السلف دون ذكر الأدلة إلا نادرا، كفعل الإمام أحمد: (ت ٢٤١) في كتابه: أصول السنة، والحسن بن علي البربهاري (ت ٣٢٩) في شرح السنة، والعقيدة الطحاوية، لأحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١هـ).

### \* أبرز مميزات طريقة السلف في عرض العقيدة:

- \* الوضوح وسلوك أيسر السبل المبينة للعقيدة والمؤدية لإدراك تفاصيلها، دون التعمق في العبارات والتطويل في المجادلات إلا إذا دعت الحاجة إليه.
- \* التوافق والبعد عن الاضطراب؛ وسبب ذلك التزامهم بمنهج واحد وهو: الاعتماد على الدليل من الكتاب والسنة.
- \* الإجمال أو التفصيل حسب مقتضى الحال والغاية من تأليف الكتاب<sup>(١)</sup>.

### الطريقة الثانية: طريقة الرد:

المقصود بطريقة الرد: تأليف الكتاب لكشف شبهات المخالف ونقض عقيدته وبيان مخالفتها للحق. وهذا الرد على حالين:

**الأول:** الرد على مجموعة عقائد، أو الرد على فرقة من الفرق المخالفة فيما خالفوا فيه الدليل وجانبهم فيه الصواب، ككتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد (ت ٢٤١)، وأيضاً الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٤٨)،

(١) ينظر: المصدر السابق (ص ٦٣).

والرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة لشرف الإسلام ابن الحنبلي (ت ٥٣٦)،  
والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية ليحيى بن أبي الخير العمراني (ت ٥٥٨)،  
ومنهاج السنة في الرد على الشيعة الإمامية لابن تيمية (ت ٧٢٨).

**الثاني:** الرد على باب واحد أو مسألة واحدة من مسائل العقيدة، ككتاب الحيدة  
والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن لعبدالعزیز الكناني (ت ٢٤٠)، ورسالة  
عبيدالله بن سعيد السجزي (ت ٤٤٠) إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت.

### \* أبرز مميزات طريقة السلف في الرد على المخالفين:

لقد تميزت كتب الردود عند أهل السنة والجماعة - أتباع السلف - بمميزات  
منها:

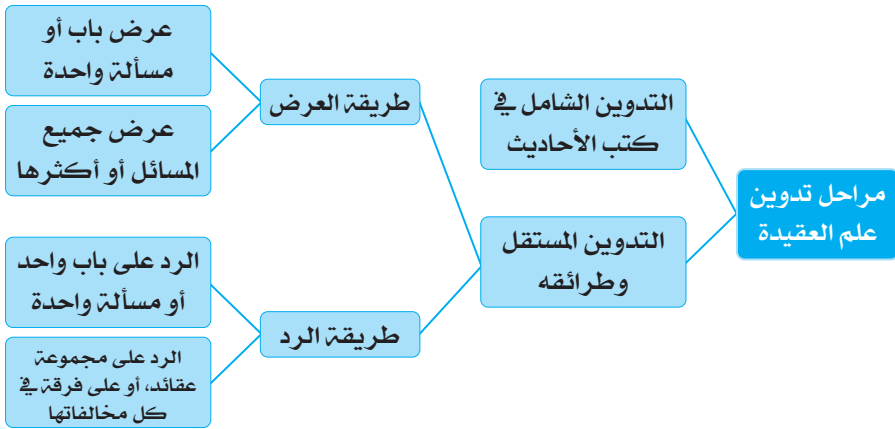
١. بيان الحق الذي يجب اتباعه، وإيراد أدلته من الكتاب والسنة، والعقل  
والفطرة حسب الحاجة.
٢. نقض الأصول التي بنى عليها المخالفون أقوالهم، كما فعلوا ذلك مع من يرى  
تقديم العقل على النقل، مع ذكر أثر الأفكار والديانات الأخرى في تسرب  
هذه الأصول إلى المسلمين.
٣. عرض شبهات المخالفين والرد عليها والإطالة في ذلك إن احتاج المقام  
للتطويل.
٤. إنصاف المخالف والاعتراف بما عنده من الحق مع عدم الظلم والعدوان.
٥. إظهار تناقضات المخالفين واضطراب آرائهم في المسألة الواحدة.
٦. نقل ما وقع من مناظرات بين أهل الحق وغيرهم<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: المصدر السابق (ص ٦٥-٦٧).



## \* فوائد دراسة تاريخ تدوين علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة:

- سوف يجني الدارس لتاريخ تدوين علم العقيدة عند السلف ثمارًا منها:
- (١) تثبيت أهل السنة والجماعة وطمأنتهم بأن ما هم عليه من الاعتقاد امتداد للعقيدة الصحيحة التي ترك النبي ﷺ أمته عليها، ولم يزل المسلمون يتلقونها جيلاً بعد جيل من لدن الصحابة رضِيَ اللهُ عنهم إلى يومنا هذا.
  - (٢) ردع من شكك في صحة عقيدة السلف أو في ثبوتها أو مصادرها، أو نسبها لشخص ما<sup>(١)</sup> لينفّر عنها الناس.
  - (٣) الإشادة بفضل علماء السلف على من جاء بعدهم، حيث بذلوا هذا الجهد الكبير في حفظ الدين، والذب عنه، وكشف الشبهات حوله، فشكر صنيعهم ونقّر بفضلهم وسابقتهم؛ فنترضى عنهم ونترحم عليهم<sup>(٢)</sup>.



(١) يعتمد البعض إلى نسبة عقيدة السلف إلى الإمام أحمد أو ابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب ليوهم أنّها من اختراعهم فيصرف الناس عنها.

(٢) ينظر: تاريخ تدوين العقيدة السلفية (ص ١٥).





## الوحدة الثامنة



أولاً: قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد.  
ثانياً: منهج القرآن في الدعوة للعقيدة.





## قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد

إنَّ لأهل السنة والجماعة قواعد ثابتة يعتمدونها عند إرادة التأصيل لمسائل العقيدة، ومن أشهرها ما يلي:

### الأولى: الاستدلال بالكتاب وصحيح السنة في التأصيل والتفريع:

أهل السنة والجماعة يستدلون بالكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فما كان فيهما فهو الدين الذي يجب اعتقاده والعمل به، وما ليس فيهما فليس بدين؛ إذ إنَّ أغلب الأمور العقدية إنَّها هي غيبية لا يستقل العقل بمعرفتها وإدراكها، فوجب الرجوع فيها لمعصوم، وليس ذلك إلا للوحي: كتابًا وسنة. وقد بين الله تعالى أنَّ الإيَّان بما نزل في القرآن هو السبيل لوحيد للهداية والفلاح، فقال:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٤، ٥].

وأمر سبحانه بالتزام السنة النبوية واتباع ما فيها، فقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وحذَّر من مخالفته ﷺ فقال: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: ٦٣].

ولهذا تواتر عن الصحابة رضِيَ اللهُ عنهم الأمر بالتمسك بها وعدم تقديم شيء عليهما، فعن جابر بن زيد قال: لقيني ابن عمر فقال: يا جابر إنَّك من فقهاء البصرة

وُتَسْتَفْتَى فَلَا تُفْتَى إِلَّا بَكِتَابِ نَاطِقٍ أَوْ سَنَةِ مَاضِيَةٍ. وَكَانَ يَقُولُ: الْعِلْمُ ثَلَاثٌ: كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقِ، وَسَنَةُ مَاضِيَةٍ، وَلَا أُدْرِي.

وَقَامَ مَعَاوِيَةَ رضي الله عنه فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا فِيكُمْ يَتَحَدَّثُونَ بِأَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا تُؤَثِّرُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؛ فَأَوْلَتْكُمْ جِهَالَكُمْ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ: أَصْحَابُ الرَّأْيِ أَعْدَاءُ السُّنَنِ، أَعْيَتْهُمْ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا، وَتَفَلَّتْ مِنْهُمْ أَنْ يَعُوَهَا، وَاسْتَحْيَوْا حِينَ سَأَلُوا أَنْ يَقُولُوا لَا نَعْلَمُ، فَعَارَضُوا السُّنَنَ بِرَأْيِهِمْ، فَيَأْكُمُ وَإِيَّاهُمْ <sup>(١)</sup>.

### الثانية: اعتماد فهم السلف للدين:

قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى السُّلْفَ فِي كِتَابِهِ فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ وَأَخْبَرَ بِرِضَاهِ عَنْهُمْ فَقَالَ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْكُمْ أُولُو الْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَأَمْرُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بِاتِّبَاعِهِمْ وَحَدْرٍ مِنْ مَخَالَفَةِ سَبِيلِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَطَرِيقَتِهِمْ فِي الدِّينِ، وَتَوَعَّدَ مَنْ خَالَفَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وَكَذَلِكَ أَمْرُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِالْتِمَسْكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ إِذَا مَا جَتِ الْفِتْنُ وَكَثُرَتِ الْبِدْعُ وَالْمَخَالَفَاتُ، فَعَنِ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه

(١) ذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ كَثِيرًا مِنَ الْآثَارِ عَنِ السُّلْفِ رضي الله عنهم فِي الْحِثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالنَّهْيِ عَنِ التَّقَدُّمِ عَلَيْهِمَا فِي كِتَابِهِ إِعْلَامُ الْمَوْقِعِينَ عَنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١/ ٥٥-٦١).

قال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ» (١).

ولما ذكر الفتن التي تطرأ على الأمة فتنفرقهم أخبر أن الناجين منها من كانوا على ماكان عليه هو وأصحابه، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفَتَّرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» (٢).

وأما سبب اعتماد فهم السلف للدين فراجع إلى ما خصَّهم الله به من الخصائص التي لم تتحقق لغيرهم على مرِّ العصور، وقد أفصح عن ذلك ابن عمر رضي الله عنه في قوله: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كانوا خير هذه الأمة: أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كانوا على الهدى المستقيم (٣).

«فهؤلاء-الصحابة- بركُ الإسلام وعصابة الإيمان وأئمة الهدى ومصابيح الدجى، وأنصح الأئمة للأئمة، وأعلمهم بالأحكام وأدلتها، وأفقههم في دين الله، وأعمقهم علمًا وأقلهم تكلفًا، وعليهم دارت الفتيا، وعندهم انتشر العلم، وأصحابهم هم فقهاء الأمة، ومنهم من كان مقيمًا بالكوفة كعلي وابن مسعود،

(١) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم (٤٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) حلية الأولياء (١/٣٠٥).

وبالمدينة كعمر ابن الخطاب وابنه وزيد بن ثابت، وبالبحر كأي موسى الأشعري، وبالشام كعماز بن جبل ومعاوية بن أبي سفيان، وبمكة كعبد الله بن عباس، وبمصر كعبد الله بن عمرو بن العاص، وعن هذه الأمصار انتشر العلم في الآفاق»<sup>(١)</sup>.

فيتبين من هذا كله أنّ المسلك الصحيح للفهم هو أن يفهم الدين على ما فهمه سلف الأمة ﷺ، وأنّ المخرج من الفتن يكون بلزوم منهج الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

### الثالثة: رد التنازع إلى الله ورسوله:

إنّ مما جرى عليه أهل السنة أتباع السلف أنّهم يردّون كل مسألة وقع النزاع فيها بين الناس إلى الله ورسوله ﷺ امتثالاً لأمر ربهم ﷻ حين قال: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، والرد إلى الله يكون بالردّ إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ في حياته، وأمّا بعد موته فإلى سنّته الصحيحة الثابتة، كما ذكر ميمون بن مهران: في تفسيره للآية السابقة<sup>(٢)</sup>.

وقد حدّر الله تعالى من الافتيات على حكمه وحكم رسوله ﷺ، أو عدم الرضا والتسليم لما صدر عنهما، بل نفى الإيذان عن من كانت حاله كذلك فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

(١) إعلام الموقعين (١/ ٦١).

(٢) ينظر: جامع البيان (٨/ ٥٠٥).



ومعلوم أن الناس إذا ردوا ما تنازعوا فيه إلى مصدر واحد معصوم فسينعمون بالاتفاق والاجتماع على كلمة سواء توافق مراد الله تعالى، وإن لم يرجعوا إلى ذلك حُرِّمُوا الهداية ولسلكوا سبيل ضلال وغواية قد حذرهم الله منه بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

#### الرابعة: أخذ الحكم من مجموع النصوص الثابتة في المسألة:

إنه من المستقر عند أهل السنة والجماعة أن الوحي متفق يصدق بعضه بعضاً، لأنه كله من الله تعالى، فصار المسلك الصحيح للاستنباط جمع كل الأدلة الواردة في المسألة الواحدة، يُعرف الناسخ والمنسوخ، والمجمل والمبين، والعام والخاص، والمطلق والمقيّد... إلخ؛ ثم استنباط الحكم من مجموعها، ليكون الحكم صواباً على ما يريد الله تعالى حين شرعه.

ومن أمثلة تطبيق هذه القاعدة ما قرره السلف في معنى معية الله لخلقه أو لبعضهم، فقد ورد إثباتها لخلقه عموماً في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، أو لبعضهم كقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فصارت معيتان: عامة، بمعنى العلم والإحاطة، وخاصة، وتعني الحفظ والرعاية. وأيضاً ورد إثبات استوائه سبحانه على العرش في سبع آيات من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فإعمالاً لهذه القاعدة من مجموع النصوص قالوا: إن معية الله لخلقه معية إحاطة وعلم وتدبير لا معية ذات، فذاته سبحانه مستقرة على العرش فوق السموات.

ولو لم يعملوا هذه القاعدة لكان لزاماً أن ينكروا إحدى الصفتين؛ إمّا

الاستواء، أو المعية، لأنَّ الذات لا تكون فوق العرش ومع الخلق في آن واحد؛ إلا أن تكون مع الخلق بالعلم والتدبير كما بيَّنا.

وهكذا ينبغي أن يكون المنهج المتبع عند استنباط الأحكام الشرعية عموماً، وأحكام العقيدة على وجه الخصوص، إذ إنَّ من أسباب ضلال أهل الأهواء عدم التزامهم بهذه القاعدة، فضلوا عن الحق وجانبوا الصواب، قال الشاطبي رحمه الله: مدار الغلط في هذا الفصل إنَّما هو على حرف واحد وهو: الجهل بمقاصد الشرع وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض، فإنَّ مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنَّما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، فإذا حصل للناظر من جملتها حكم من الأحكام فذلك الذي نظمت به حين استنبطت، وما مثلها إلا مثل الإنسان الصحيح السوي، فكما أنَّ الإنسان لا يكون إنساناً حتى يستنطق، فلا ينطق باليد وحدها ولا بالرجل وحدها ولا بالرأس وحده ولا باللسان وحده؛ بل بجملته التي سُمي بها إنساناً، كذلك الشريعة لا يطلب منها الحكم على حقيقة الاستنباط إلا بجملتها لا من دليل منها، وإن ظهر لبادي الرأي نُطق ذلك الدليل فإنَّما هو توهمي لا حقيقي <sup>(١)</sup>.

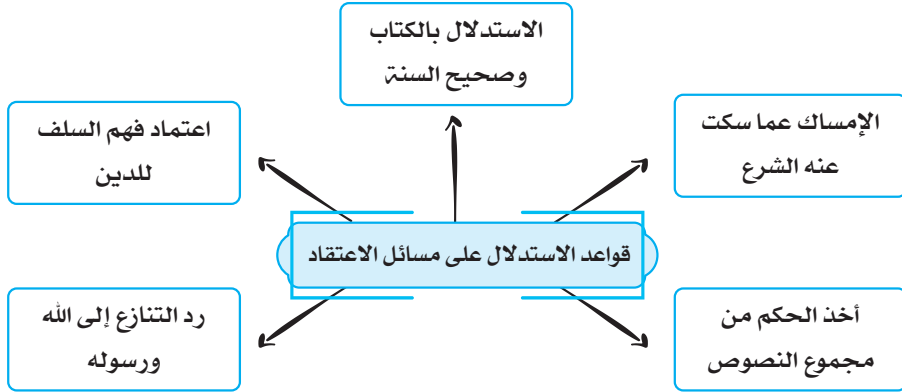
### الخامسة: الإمساك عمَّا سكت الشرع عن بيانه:

الإمساك عمَّا سكت الشرع عن بيانه قاعدة عظيمة من قواعد الاستدلال عند السلف، سيما في مسائل العقيدة، فما أثبتته الشرع أثبتناه وما نفاه وجب نفيه، وما سكت عنه وجب التوقف فيه فلا يُثبت ولا يُنفي لعدم الدليل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

(١) ينظر: الاعتصام (١/٢٤٥).

مَسْئُولًا ﴿[الإسراء: ٣٦]، وقال ابن تيمية مقررًا ذلك: «الأقسام ثلاثة: ما عُلِمَ بثبوته أثبت، وما عُلِمَ انتفاؤه نُفي، وما لم يُعلم نفيه ولا إثباته سُكت عنه، هذا هو الواجب، والسكوت عن الشيء غير الجزم بنفيه أو ثبوته»<sup>(١)</sup>.

وعليه فإنه لا ينبغي البحث عن حقائق صفات الله وكيفياتها، ولا تكلف معرفة ما أخفاه الله عنا من أمور الغيب كوقت قيام الساعة وموعد خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم ونحو ذلك مما سكت الشرع عن بيانه، إذ لو كان في بيانه مصلحة مقصودة للناس، أو ينبغي على معرفتها علم كُفِّوا به أو عمل أمرًا به لبيَّنه الله تعالى لهم.



(١) ينظر: جامع البيان (٨/ ٥٠٥).

## منهج القرآن في الدعوة للعقيدة

لقد أرسل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً للناس، وأيده بالقرآن لتكون رسالته محفوظة باقية إلى قيام الساعة، وقد تنوعت موضوعات الآيات بين تقرير التوحيد، أو بيان الأوامر والنواهي، أو ذكر القصص للعظة والاعتبار، قال ابن تيمية رحمته الله: «القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث: ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي؛ لأنَّ القرآن كلام الله، والكلام: إما إنشاء، وإما إخبار. والإخبار: إمَّا عن الخالق، وإمَّا عن المخلوق. والإنشاء: أمر ونهي وإباحة. ف: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فيها ثلث التوحيد، الذي هو خبر عن الخالق. وقد قال رحمته الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»<sup>(١)</sup>.

وأيضاً فقد تنوع منهج الوحي في الدعوة إلى التوحيد<sup>(٢)</sup>، ومن أبرز الأساليب

التي استعملها في الدعوة إليه ما يلي:

### الأول: تقرير التوحيد بالأدلة العقلية العقلية:

العقل نعمة الله على الإنسان، به يفهم الخطاب، فيفرِّق بين الحق والباطل ويميِّز الصواب من الخطأ، ولهذا يصف الله تعالى في كتابه الكفار بعدم العقل، لأنهم فاقدون له بالكلية، إذ لو كانوا كذلك ما كانوا مكلِّفين؛ وإنما المراد أنهم لم ينتفعوا به الانتفاع الأمثل الذي يقودهم للإيمان بالله وتوحيده.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٩٤).

(٢) ينظر لهذه الأساليب كتاب: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص ١٣٩-٣٠٥).

ومن أبرز الأدلة النقلية العقلية التي توظف العقل من غفلته لإدراك الحق قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]، وقال: ﴿ أَمْ أَخَذُوا مِنْ آلهةٍ مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُشْرُونَ ﴿١١﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا آلهةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٣]، وقال: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢].

ففي كل مقطع من هذه الآيات دليل على وجوده سبحانه واستحقاقه التوحيد، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تستحث العقول للتأمل والفهم الصحيح؛ لتستبين الحق وتنقاد له النفوس مطيعة مختارة، فيُعبد الله وحده ويكفر بكل ما يعبد من دونه.

### الثاني: تقرير التوحيد بلفت الأنظار للأدلة الكونية:

الإنسان يعيش في الكون ويلمس بعض ما فيه من الإعجاز، ولهذا استعمل القرآن هذا الأسلوب لإيقاظ الفطرة لتوحيد الله تعالى، وهذا يكشف سرّ الحديث عن خلق السموات والأرض وذكر الكواكب والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب وغيرها مما يشاهده الإنسان أمام ناظريه؛ ليدعوه من خلاله إلى توحيد الله الذي خلقها وأبدع صنعها، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُمَّ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ بَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿البقرة: ١٦٣-١٦٥﴾.

وقال: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلِكُلُ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ سَمِعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلِّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿الجنائية: ٣-٨﴾.

فانظر كيف يذكر سبحانه مع الآيات الكونية الدعوة لتوحيده والإيمان به، ويعاتب أحياناً المعرضين المشركين على عدم انتفاعهم بهذه الأدلة الظاهرة.

### الثالث: تقرير التوحيد بأسلوب ضرب الأمثال:

ضرب المثل يقرب المقصود ويطمئن النفس ويقود لإدراك الخطاب والانقياد للحق، حتى قيل: بالمثل يتضح المقال. قال ابن القيم: بعد ذكره لأمثال ضربها النبي ﷺ لتقريب المعاني الشرعية: «فهذه وأمثالها من الأمثال التي ضربها رسول الله ﷺ لتقريب المراد وتفهم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثل الذي مثل به؛ فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره،

وكلما ظهرت له الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد ومزكية له، فهي كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، وهي خاصة العقل ولبّه وثمرته»<sup>(١)</sup>.

وقد تنوعت الأمثال المضروبة للناس فيما يتعلق بالتوحيد، فهي إما أن تكون مضروبة لله من جهة، ولما يعبد من دونه من جهة أخرى، كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٥، ٧٦]، فهذان مثالان للكافر والمؤمن، فالكافر مثل العبد المملوك، أو كالرجل الأبكم، فكلاهما ثقيل عاجز عن القيام بشؤون نفسه فضلاً عن نفع غيره من الناس، وأمّا المؤمن كالحُر الذي يكتسب المال وينفق وينفع نفسه وغيره، ويأمر بالحق والعدل والصلاح والخير، فلا يمكن أن يقع التساوي بين هذين أبداً<sup>(٢)</sup>.

وإما مضروبة لكلمة التوحيد وكلمة الشرك، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٧].

(١) إعلام الموقعين (١/٢٨٦).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/٥٨٩٩).





كما يطرح السيل الزبد وكما تطرح النار الخبث، وكاستقرار الماء والمعدن الصافي الخالص، يستقر التوحيد والإيمان في القلب وجذوره بحيث ينفع صاحبه وينتفع به غير<sup>(١)</sup>.

وهناك أنواع أخرى للأمثال في القرآن الكريم، منها ما يضرب لبيان عجز آلهة المشركين، أو لبيان حالة المشرك والموحد، أو ضرب المثل لقلب الموحد والمشرك، أو لحواس الموحد والمشرك وحياة الأول واستقامته وموت الثاني وانكبابه على وجهه، أو لأعمال المشركين.

#### الرابع: تقرير التوحيد بأسلوب القصص:

لقد كثر حديث القرآن عن قصص السابقين من الأمم والأنبياء والصالحين، وأخبارهم ودعوتهم لأقوامهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وما رَدَّتْ به الأمم، وبيَّنت جزاء المؤمنين، ومصير الكافرين، وذكرت أنواع العذاب التي عذبوا بها والوعيد الذي ينتظرهم في الآخرة... إلخ.

ومن أكثر القصص ذكراً في القرآن قصص أولي العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام، ثم سائر الأنبياء والرسل، وكثير من الأخبار والأحداث، مما يقود الأسماع للإنصات والعقول للتفكير وأخذ العظة والعبرة منها.

والقصص القرآني له أهداف كثيرة، منها: إثبات الوجدانية لله تعالى، وإثبات صحة الوحي وصدق الرسل، إثبات وحدة دين جميع الأنبياء، وإثبات البعث والرد على المنكرين.

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص ١٦٩).

### الخامس: تقرير التوحيد بالتذكير بنعم الله:

إنَّ نعم الله تعالى على عباده كثيرة لا يحصيها العادُّ ولو أراد، قال الله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

وكانت عادة القرآن أنه يذكر كل أمة بما أنعم الله به عليهم خاصة مع التذكير بالنعم العامة؛ ليقرُّوا به ويوحِّدوه، وسأمثل - من باب التمثيل لا الحصر - بتذكيره بالنعم الذي أسداها على قوم عاد، وثمود، وأمة محمد ﷺ.

قال الله تعالى لقوم عاد: ﴿ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفِقُ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَانْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَانْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّتِ وَعُيُونٌ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٣٥].

وقال لثمود قوم صالح ﷺ: ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٤].

وقال لأمة محمد ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وفي صدر سورة النحل ذكر الله كثيرًا من نعمه على خلقه، وهو يدعوهم خلاها للإيمان به وتوحيده ونبذ كل ما يُعبد من دونه، فقال: ﴿آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١﴾ يُزِيلُ الْمَلٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ٢﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ٤﴾ وَاللَّائِمَةَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ٦﴾ وَتَحْمِلُ أَنْفَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ٧﴾ وَالنَّيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨﴾ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا

وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا  
 مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ  
 بِكُمْ وَانْهَرًا وَسَبِيلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنِّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾  
 أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا  
 إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل: ١-١٨].

فهذا التذكير يأتي دائماً في سياق الدعوة للإيمان بالله، والأمر بتوحيده،  
 والدعوة للثبات على الإيمان، والصبر على الأذى الذي قد ينالهم بسببه.

### السادس: الإجابة على الأسئلة الفطرية الملحة:

تطراً على النفس البشرية تساؤلات عميقة عن الكون والإله وعن الإنسان  
 ذاته، من أين بدأ وكيف، ولماذا وجد، وإلى أين يسير، وإن لم تجد الجواب الشافي  
 عاشت في تيه وضلال إذ ليس للحياة معنى حينئذ<sup>(١)</sup>.

وإذا تأملنا آيات القرآن الكريم نجدها تجيب على هذه الأسئلة بأفصح لسان  
 وأوضح جواب. وقد عرّف بنفسه في آيات كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ

(١) من النماذج التي صرّحت بما تجده من الحيرة والتهيه الشاعر إيليا أبو ماضي، حيث يقول:

جئت، لا أعلم من أين، ولكني أتيت  
 ولقد أبصرت قدّامي طريقاً فمشيت  
 وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيت  
 كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟  
 لست أدري!

أجدد أم قديم أنا في هذا الوجود  
 هل أنا حرّ طليق أم أسير في قيود  
 هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود  
 أمتى أنني أدري ولكن...

لست أدري! ينظر: ديوان إيليا أبو ماضي (ص ٨٩).

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾  
 إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿يونس: ٣-٥﴾.

وأجاب عن مبدأ الإنسان وطريقة تناسله وتكاثره فقال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿السجدة: ٧-٩﴾.

وعن الغاية من خلقه قال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿البقرة: ٢١﴾، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتِ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿الذاريات: ٥٦-٥٨﴾.

وعن المعاد بعد الموت قال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿الأنعام: ٦١، ٦٢﴾، وقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدَا ﴿٨٥﴾ مريم: ٨٥، ٨٦﴾، وقال: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ

﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿طه: ٧٤-٧٦﴾.

وهكذا فإنَّ القرآنَ يَجِبُ على كلِّ تسأؤلٍ يطرأ على النفس البشرية؛ ليُطرد الشبه والإلحاد والكفر ويثبَّت الإيَّان والحق واليقين.

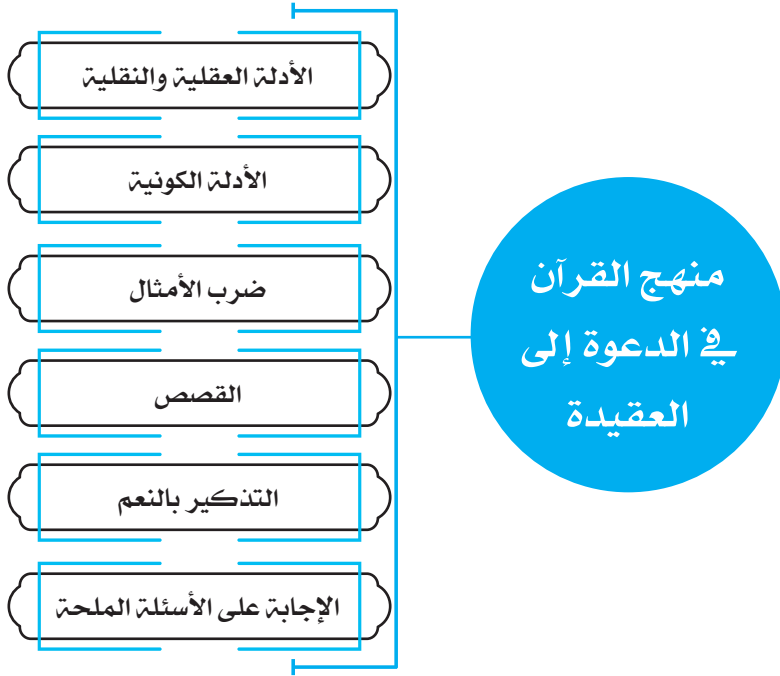
### مميزات طريقة القرآن في الدعوة للتوحيد:

قد تبين مما سبق أنَّ الوحي قد سلك في الدعوة إلى وحدانية الله تعالى منهجًا واضحًا مميزًا قريبًا لأفهام السامعين، مبتعدًا عن المسالك الخفية، معتمدًا على توجيه نظر الإنسان إلى الكون بما فيه، مشيرًا لدليلي الخلق والعناية، وعلى ضرب الأمثال المختلفة؛ لبيان نور التوحيد وظلمة الشرك، وعلى القصص القرآنية لبيان نصر الله للموحدين وإهلاك للكافرين، وعلى التذكير بنعم الله التي تستوجب أفراد المنعم بالوحدانية والعبادة، وعلى الأدلة العقلية التي تأخذ بالألباب... وهذه الطريقة في تقرير التوحيد والدعوة إليه لها مميزات من أبرزها:

- ١- ضم الأدلة كلها، والاستدلال بها مجتمعة.
- ٢- الرد على المخالفين مع تنوع أشخاصهم واعتقاداتهم.
- ٣- مناسبتها لجميع فئات الناس.
- ٤- ملاءمتها للفطرة، وخلقها من التعقيد.
- ٥- أنها طريقة عملية لا تكتفي بمجرد التقرير النظري؛ بل تدعو للعمل والتطبيق والامتنال.

٦- تطرد الشكوك وتنفي الشبهات؛ لإتيانها بمعانٍ صحيحة ثابتة.

فطريقة الوحي هذه تعتبر أصل كل الطرق الصحيحة في الدعوة إلى توحيد الله تعالى والإخلاص له في العبادة<sup>(١)</sup>.



(١) ينظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص ٣٢٧، ٣٢٨).





## الوحدة التاسعة

أولاً: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

ثانياً: أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة.



## أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة

أصول اعتقاد<sup>(١)</sup> أهل السنة والجماعة ستة، يدخل تحتها جميع الأحكام العقدية التي أوجب الله اعتقادها والخضوع لها، وقرن بها صلاح البشرية وسعادتهم في الدنيا والآخرة، فيها يجيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم، الذي لا يحول ولا يزول.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على ذلك، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال النبي ﷺ في حديث جبريل الطويل -لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ-: «أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُوْمِنَ بِالنَّقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) تسمى أصول الاعتقاد بأسماء أخرى مثل: أصول الإيمان، أركان الإيمان.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم (٩).

فتحصّل من مجموع ما دلّت عليه النصوص السابقة أنّ للإيمان ستة أركان، هي الأصول الاعتقادية عند أهل السنة والجماعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة - أهل السنة والجماعة - هو: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره»<sup>(١)</sup>.

وقد حكم الله بكفر من أنكر شيئاً منها فقال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وفيما يلي التعريف بكل أصل منها على وجه الإجمال.

### الركن الأول: الإيمان بالله تعالى:

الإيمان بالله تعالى: هو الاعتقاد الجازم بأن الله ربّ كلّ شيء ومليكه، وأنّه المستحق للعبادة دون سواه، وأنّ له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة المثلّي<sup>(٢)</sup>. وإنّ الإيمان بالله تعالى هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنًا، وأعلاها قدرًا، بل هو أصل أصول الإيمان وأساس بنائه وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه<sup>(٣)</sup> والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

(١) الإيمان بوجوده ﷻ، وهذا أمر فطري، إذ كل مولود يولد مفطورًا على معرفة الله تعالى، كما مرّ بيانه في دليل الفطرة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ أَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥]، ﴿فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٢٩).

(٢) ينظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص ١٧).

(٣) ينظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص ١٥).

حَنِيفًا فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿الرُّومُ: ٣٠﴾.

٢) توحيده تعالى في ربوبيته، وأنه المتفرد بالخلق والملك والتدبير، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٣) توحيده في ألوهيته، فهو المستحق للعبادة دون سواه، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

٤) توحيده في أسماء وصفاته، وذلك بإثبات أسمائه تعالى وصفاته على الوجه الذي يليق به سبحانه، ونفي مماثلته للمخلوقات، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وإن البرهان على إيمان العبد بربه قيامه بالعمل الصالح امتثالاً لأمره، والمشاركة في أبواب الخير تقريباً إليه، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

أما إذا كان الإيمان بالله مجرد اعتقاد في القلب بوجوده، أو إقرار باللسان دون العمل بالأوامر واجتناب النواهي، فلا يعتبر إيماناً صحيحاً، بل هو انحراف عن جادة الإيمان، ومخالفة للمقصود من إنزال القرآن، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْكُمْ ءَأَيْتِ اللَّهُ مَبِينَتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١٠، ١١].

### الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

المقصود به: الاعتقاد الجازم بأن الله خلق خلقاً من نور، جبلهم على طاعته، فلا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًأ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

ولا يعلم عدد الملائكة الكرام إلا الله تعالى، إلا أنه ورد ما يدل على كثرتهم، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «رُفِعَ لِي النَّبِيُّ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيْلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا النَّبِيُّ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>.

ومن عادى أحداً من الملائكة أو استخف به كفر، قال الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيْلَ وَمِيكَئِلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

### ولا يتم الإيمان بالملائكة إلا باستكمال الإيمان بأربعة أمور:

(١) الإيمان بوجودهم، وأنهم أحد العوالم العاقلة، خلقهم الله لطاعته وعبادته.

(٢) الإيمان بمن علمنا اسمه منهم على وجه التفصيل، كجبريل وميكائيل وإسرافيل، ووالإيمان بمن لم نعلم اسمه منهم على وجه الإجمال.

(٣) الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كعظم خلقهم، وتعدد أجنحتهم، وضخامة أجسامهم، ونحو ذلك.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، حديث رقم (٣٢٠٧) ومسلم، حديث رقم (١٦٤).

٤) الإيمان بما علمنا من أعمالهم، فمنهم الموكلون بحمل العرش، ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد.

### الركن الثالث: الإيمان بالكتب:

**الإيمان بالكتب:** هو الاعتقاد الجازم بأنها منزلة من عند الله ﷻ تكلم بها قولاً وأنزلها على رسله وحياً وصدق بها ذوو الإيمان برسلمهم حقاً وصدقاً.

وقد أوجب الله ﷻ الإيمان بجميع الكتب بلا استثناء فقال: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

### والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

١) الإيمان بها جميعاً وأنها منزلة من الله تعالى، قال ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

٢) الإيمان بما علمنا اسمه منها، والمعلوم منها ستة كتب: التوراة، ونزلها على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، والقرآن على محمد ﷺ، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، ولم يصح في عدد الكتب المنزلة شيء يعتمد عليه.

٣) تصديق ما صحَّ من أخبارها، كأخبار القرآن وما لم يحرف من الكتب السابقة.

٤) العمل بأحكام ما لم ينسخ منها - وهو القرآن الكريم - والرضا والتسليم

بما فيه، إذ يجب الإيمان بجميع الكتب المنزلة إيماناً مجملاً، وبالقرآن إيماناً مفصلاً، وأمّا العمل فلا يكون إلا بالقرآن الكريم دون غيره، إذ هو الكتاب الذي تكفل الله بحفظه من بين سائر كتبه، فهو محفوظ بحفظ الله له إلى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وهو المهيمن على الكتب السابقة ومصداقاً لها، أمّا غيره فهو إمّا مفقود لا يُعلم عنه شيء كصحف إبراهيم وموسى والزبور، أو محرّف مبدّل كالتوراة والإنجيل.

### الركن الرابع: الإيمان بالرسول:

الإيمان بالرسول هو: التصديق الجازم بأن الله تعالى اصطفى رجلاً من البشر أرسلهم لهداية الناس وتبليغهم عن ربهم ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَكِيمٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥].

### ولا يتم الإيمان بهم إلا بأربعة أمور:

- ١) التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده والكفر بما يُعبد من دونه.
- ٢) الإيمان بأسماء من علمنا أسماؤهم منهم، وهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، فهؤلاء يجب الإيمان بهم على التفصيل<sup>(١)</sup>، مع الإيثار بمن لم نعلم

(١) ذكر الله تعالى ثمانية عشر نبياً في قوله ﷺ: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَرَكَبْنَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدًى وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦]. وذكر السبعة الباقين في آيات متفرقة من كتابه، وقد جمعهم الناظم في هذين البيتين:



أسماهم إيماناً مجملاً، قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

(٣) التصديق بما صح من قصصهم وأخبارهم، كبرودة النار على إبراهيم، وشق البحر لموسى، وانشقاق القمر لمحمد ﷺ.

(٤) العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ، فيجب الإيمان به على التفصيل بأنه نبي الثقلين، خاتم الأنبياء والمرسلين، والاقتران به واتباع سنته واتخاذ أسوة حسنة، وأنه لن يدخل الجنة أحد ممن أدركه أو جاء بعده إلا بالإيمان به واتباعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الإيمان بأنبياء الله ورسله ركن من أركان الإيمان، فلا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بجميع الأنبياء، ويصدق بأن الله تعالى أرسلهم لهداية البشر وإرشاد الخلق، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأتمهم بلغوا ما أنزل إليهم من ربهم البلاغ المبين، فبلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «وأما قوله: (ورسله) فإن تؤمن بما سمي الله في كتابه من رسله، وتؤمن بأن الله سواهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد ﷺ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، وإيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد إقرارك به وتصديقك إيَّاه دائماً على ما جاء به، فإذا اتبعت ما

مِنْ بَعْدِ عَشْرِ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمْ  
ذُو الْكِفْلِ أَدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ حُتِمُوا

= فِي تِلْكَ حُجَّتُنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَّةٌ  
إِذْ رِيَسَ هُوْدُ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَلِكَ

(١) النبوات (ص ٣٧).

جاء به أدت الفرائض وأحللت الحلال وحرمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات»<sup>(١)</sup>.

### الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر هو: الإيمان بكل ما أخبرنا به الله تعالى ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت، من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله لأهلها جميعاً<sup>(٢)</sup>.

ولأهمية الإيمان باليوم الآخر قرنه الله تعالى بالإيمان به سبحانه في قريب من عشرين موضعاً من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩]، وقوله: ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] وهذا يدل على عظم منزلته، وأنه لا قيمة للإيمان ما لم يتضمن الإيمان به.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن أموراً يجب الإيمان بها على وجه التفصيل،

من أبرزها:

- الإيمان بسؤال الملكين ونديم القبر وعذابه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالْآخَرُ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟

(١) ينظر: الإيمان لابن تيمية (١/٢٤٥).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الواسطية للفضولان (ص١٢٧).

فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُضْخَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّئِمِّي عَلَيْهِ، فَتَلْتَمِ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَدَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ» (١).

- الإيمان بالبعث بعد الموت، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ (١٥)

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦].

- الإيمان بحشر الخلائق وجمعهم في عرصات القيامة، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ

يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩].

- الإيمان بالحساب، وأن الله سيحاسب الخلق كلًّا بما اقترف، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٩) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٠) ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا﴾ (١١) ﴿وَيَصَلِّي سَعِيرًا﴾ (١٢) ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (١٣) ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ (١٤) ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾

[الانشقاق: ٧-١٥].

- الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد ستوزن يوم القيامة، ومصيرهم تبع

لميزانهم، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(١) أخرجه الترمذي، حديث رقم (١٠٧١)، وحسنه الألباني.

- الإيمان بحوض النبي ﷺ الذي يرده ويشرب منه أتباعه من أمته، قال ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

- الإيمان بالصراط، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعَاؤِي الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»<sup>(٢)</sup>.

- الإيمان برؤية المؤمنين لربهم ﷻ في الآخرة، لقول النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

- الإيمان بالجنة دارًا للمتقين، والنار دارًا للكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

### الركن السادس: الإيمان بالقدر:

هو: التصديق الجازم بأن الله تعالى علم كل ما كان وما يكون وما سيكون قبل أن يخلق الخلق، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وشاء وجوده في الكون، ثم خلق الخلق بعد ذلك كله.

### فالإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

(١) الإيمان بأن الله تعالى علم كل شيء جملةً وتفصيلاً، أولاً وأبداً، سواء كان

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، حديث رقم (٦٥٧٩)، ومسلم، حديث رقم (٢٢٩٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري، حديث رقم (٨٠٦)، ومسلم، حديث رقم (١٨٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري، حديث رقم (٥٥٤)، ومسلم، حديث رقم (٦٣٣).

مما يتعلق بأفعاله سبحانه أو بأفعال عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

(٢) الإيمان بأن الله تعالى كتب ذلك كله في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. وقال النبي ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»<sup>(١)</sup>.

(٣) الإيمان بأنه لا يكون في الكون شيء إلا بمشيئة الله تعالى، قال ﷺ: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

(٤) الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها وسكناتها، ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

«فيجب الإيمان بذلك كله، خيره وشره وحلوه ومره وقليله وكثيره، أنه من الله تعالى، ليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر شيء إلا عن تدبيره وقضائه، ولا محيد لأحد عن القدر المقدر، ولا يتجاوز ما خُطَّ له في اللوح المحفوظ، ولا خير ولا شر إلا بمشيئته، خلق من شاء للسعادة، واستعمله بها فضلاً، وخلق من أراد للشقاوة، واستعمله بها عدلاً، فهو سرُّ استأثر الله تعالى به، وحجبه عن خلقه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾» [الأنبياء: ٢٣]<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها لا يقال: لم؟ لا كيف؟ إنما هو التصديق والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كُفي ذلك وأحكم له، فعليه

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٦٥٣).

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص ١٤٣، ١٤٤).

الإيمان به والتسليم، مثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع، وإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يردَّ منها حرفاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات، وأن لا يخاصم أحداً ولا يناظره ولا يتعلم الجدل، فإنَّ الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنَّة من أهل السنة حتى يدع الجدل ويؤمن بالآثار<sup>(١)</sup>.

والله تعالى قد جعل العبد مسيراً في بعض أموره لا مخيراً، وذلك في الأمور الكونية القدرية التي لم يمنحه الله حق الاختيار فيها، ولم يجعلها داخلة تحت قدرته ومشيتته، كالموت والحياة، والصحة والمرض، والغني والفقر، قال الله تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

أمَّا الأمور الشرعية المتعلقة بالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، فمن كمال عدل الله جعلها تحت قدرة العبد وإرادته ومشيتته، بعدما بين له ما يجب ربه منه وما يكره، فهو يختار بمحض إرادته، قال الله تعالى: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٥].

ومن هنا يتبين أن للعبد أن يحتج بالقدر على ما يصيبه من المصائب إذ هو مسير فيها ليس بيده الاختيار، وأما طاعته وعصيانه وإيمانه وكفره فلا يجوز له أن

(١) ينظر: أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل (ص ١٤-٢١).

يحتج فيها بالقدر، بل هو يؤمن أو يكفر ويطيع أو يعصي بمحض إرادته واختياره، كما نطقت بذلك النصوص الشرعية السابقة وغيرها.

### \* تنبيهان:

**الأول:** أن الإيمان بالأصول الستة كل لا يتجزأ، فلا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بها جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۗ﴾ (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

**الثاني:** أن مبنى العقيدة كلها على الإيمان بالغيب، فمضمون أصول الإيمان وما يندرج تحتها كلها من أمور الغيب التي كشفها الله للناس على ألسنة رسله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولولا ذلك لم يكن سبيل إلى معرفتها، قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝﴾ (٣٦) إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولِي فَإِنَّهُ يَسْأَلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

والإيمان بالغيب أول صفة للمؤمنين ذكرها الله تعالى في كتابه في مفتتح سورة البقرة فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَإِذْ يَضْحَكُونَ وَيُقَالُ لَهُمْ أَسْمَاءُ يُضْحِكُونَ ۗ﴾ (البقرة: ١-٣).

ولهذا فإنه يجب على المسلم تصحيح عقيدته، فإن ذلك مما تقتضيه صحة عبادته، إذ صحة العبادة وقبولها عند الله مرهون بصحة الاعتقاد، وبدونها يجعل الله الأعمال هباءً منثوراً، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۗ﴾ (البقرة: ٢٤).

أَلْحَسَابِ ﴿ [النور: ٣٩]. وأخبر تعالى أنَّ عدم قبول أعمالهم الصالحة إنما كان بسبب فساد عقيدتهم فقال: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿ [التوبة: ٥٤].





## أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة

مرَّ معنا تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح<sup>(١)</sup> وأنه يدور حول أفراد الله بما يختص به، وإنَّ ما يختص الله تعالى به كثير، كخصائص ذاته وأسمائه وصفاته، وخصائص ملكه وتدييره لخلقه، وحقوقه على عباده، وإجابة الدعاء وتحقيق الرجاء، والمنع والعطاء... إلخ.

فتوحيدة فيها يتضمن اعتقاد وحدانيته سبحانه من جميع الوجوه: في الذات والأسماء والصفات، والأفعال، والحقوق.

### ❖ أقسام التوحيد:

يُقَسَّم أهل السنة والجماعة التوحيد إلى عدة أقسام باعتبارين متنوعين، فيما يلي بيانها:

#### الأول: أقسام التوحيد باعتبار متعلقه:

ينقسم التوحيد باعتبار ما يتعلق به ثلاثة أقسام:

(١) ما يتعلق بذات الله تعالى، ويسمى توحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، بل نعتقد أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(١) مرَّ في أسماء علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

٢) ما يتعلق بأفعال الله، كالخلق والرزق والتدبير... إلخ، ويسمى: توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله، والإقرار بأنه خالق كل شيء ومليكه، وإليه الأمر كله في التصريف والتدبير وغير ذلك من الأفعال.

وهذا التوحيد يعترف المُشْرِكُونَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بجوانب منه ولم يُدْخِلْهُمْ ذلك في الإسلام، فهم مقرُّون بأنه المالك الرازق المُحْيِي المُمِيت، المتصَرِّف في هذا العالم بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومجرد الاعتراف بهذا لا يكون به الإنسان مُسْلِماً، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴾ [يونس: ٣١].

٣) ما يتعلق بحق الله على عباده، ويسمى توحيد الألوهية: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة قولاً وقصدًا وفعلاً.

وهذا التوحيد يستوجب إخلاص العبادة لله وحده دون سواه، فلا يُعْبَدُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدْعَى إِلَّا هُوَ، دون غيره من الملائكة والنبيين والأولياء الصالحين وغيرهم، وَلَا يُتَلَجَّأُ لِكَشْفِ الضَّرِّ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا لِحَلِّبِ الْخَيْرِ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا يُنْذَرُ وَلَا يُذْبَحُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يُتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يُخَافُ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا يُسْتَعَانُ وَلَا يُسْتَعَاثُ إِلَّا بِهِ وحده، إلى غير ذلك من أنواع العبادة، كالرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ، وَالْإِنَابَةِ... إلخ.

### الثاني: تقسيم التوحيد باعتبار ما يجب على المكلف:

ينقسم التوحيد باعتبار ما يجب على المكلف إلى قسمين:

**الأول: توحيد المعرفة والإثبات:** ومعناه: إثبات حقيقة ذات الرب تعالى

وأسمائه وصفاته وأفعاله على وجه ليس كمثله شيء في ذلك كله<sup>(١)</sup>.

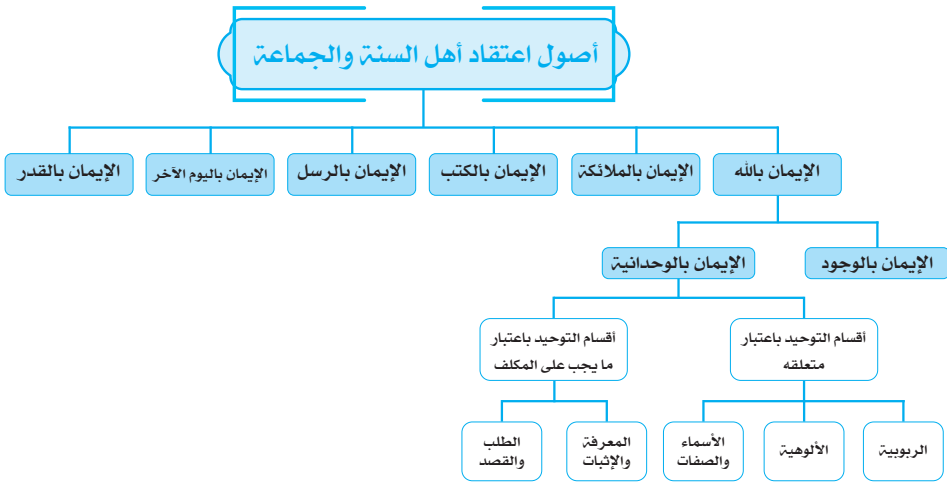
(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٢).

فهذا التوحيد يقتضي الإيمان الجازم بأن الله تعالى واحد في ذاته وأسمائه وصفاته أفعاله، فله الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العلى، والأفعال النافذة لا يشاركه ولا يماثله فيها أحد.

ومنه يتبين أن هذا القسم من التوحيد شامل لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات الذين سبق بيانها، ويطلق عليه العلماء أسماء أخرى منها: التوحيد العلمي.

**الثاني: توحيد القصد والطلب:** وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة<sup>(١)</sup>.

ومعناه إفراد الله تعالى في القصد بالصلاة والصوم، والصدقات وسائر العبادات والأعمال التي يُتقرب بها، فلا يقصد بها إلا هو سبحانه ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. وإفراده في الطلب أيضاً، بحيث لا يُدعى إلا هو، ولا يستعاذ ولا يستعان ولا يستغاث إلا به، وهذا هو توحيد الألوهية الذي سبق بيانه، ويسميه العلماء أيضاً: التوحيد العملي، توحيد العبادة، والتوحيد الإرادي.



(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/٥٤).

## فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
٣. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان الفوزان، ط٢، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤١٢هـ.
٤. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ط١، دار الغد الجديد، القاهرة، ١٤٣٥هـ.
٥. أصول السنة، أحمد بن محمد بن حنبل، ط١، دار المنار، السعودية، ١٤١١هـ.
٦. أصول الشاشي، أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٧. الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
٨. أعلام السنة المنشورة، حافظ بن أحمد الحكمي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ.
٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
١٠. اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ.
١١. اقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٢. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبو بكر الباقلاني، ط٢، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤٢١هـ.
١٣. الأنوار الكاشفة، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، عالم الكتب، بيروت، ١٣٧٨هـ.
١٤. الإيمان، أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط٥، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ١٤١٦هـ.
١٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، ط٣، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، دار الهداية.
١٧. تاريخ التدوين في أصول الدين، د. طارق بن سعيد القحطاني، الناشر المتميز، الرياض، ١٤٤٠هـ.
١٨. تاريخ تدوين العقيدة السلفية، د. عبدالسلام بن برجس عبدالكريم، ط ١، دار المنهاج، القاهرة، ١٤٣٠هـ.
١٩. تدوين علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة، مناهجه ومصنفاته، د. يوسف بن علي الطريف، ط ١، دار ابن خزيمة، ١٤٣٠هـ.
٢٠. التعريفات الاعتقادية، سعد بن محمد آل عبداللطيف، ط ١، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٢هـ.
٢١. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢٢. التعليق على سنن ابن ماجه، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
٢٣. التعليقات على كشف الشبهات، محمد بن العثيمين، ط ١، دار المعالي والمؤتمن، بيروت، ١٤١٦هـ.
٢٤. تفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٢٥. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، ط ٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٢٦. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
٢٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر ابن سعدي، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
٢٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
٢٩. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢١هـ.

٣٠. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.
٣١. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، اسماعيل بن محمد الأصبهاني، ط ١، دار الراجعية، الرياض، ١٤١٩هـ.
٣٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.
٣٣. درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
٣٤. ديوان أبو ماضي، إيليا أبو ماضي، دراسة د. سامي الدهان، دار العودة، بيروت.
٣٥. ذم الكلام وأهله، أبو الفضل المرقى، ط ١، دار أطلس، الرياض، ١٩٩٦م.
٣٦. رسالة السجزي إلى أهل زبيد، عبيد الله بن سعيد السجزي، ط ١، دار الراجعية للنشر، الرياض، ١٤١٤هـ.
٣٧. الرسالة، محمد بن ادريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٨. الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
٣٩. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تعليق وأحكام محمد ناصر الدين الألباني، ط ٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٩هـ.
٤٠. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
٤١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
٤٢. سنن الدارمي، عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٤٣. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط ١، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٤٤هـ.
٤٤. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ط ٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ.
٤٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله اللالكائي، دار البصيرة، الاسكندرية.
٤٦. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار الهمداني، ط ٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ.

٤٧. شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، ط ١، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٦هـ.
٤٨. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.
٤٩. شرح العقيدة الواسطية، د. صالح بن فوزان الفوزان، ط ٨، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤٢٩هـ.
٥٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٥١. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط ١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٥٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٣. الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، ابن قيم الجوزية، ط ٣، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ.
٥٤. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد ملكاوي، ط ١، مكتبة دار الزمان، المدينة، ١٤٠٥هـ.
٥٥. علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة (المبادئ والمقدمات)، د. محمد يسري، دار طيبة، ط ١، الرياض، ١٤٢٧هـ.
٥٦. الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، ط ١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ.
٥٧. فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط ١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٣هـ.
٥٨. الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار المعرفة، بيروت.
٥٩. فصول من الانتصار لأصحاب الحديث، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، ط ١، مكتبة أضواء المنار، المدينة المنورة، ١٩٩٦هـ.
٦٠. الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٧هـ.
٦١. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، د. خادم حسين بخش، ط ٢، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤٢١هـ.

٦٢. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق خان القنوجي، ط ١، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤٢١هـ.
٦٣. كشف الأسرار عن أصول البزدوي، علاء الدين البخاري، شركة الصحافة العشائية، ١٣٠٨هـ.
٦٤. الكشف في المعتقد الصوفي، أبو عاصم أحمد بلحة، <http://majles.alukah.net>.
٦٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ط ١، دار صادر، بيروت، سنة النشر: بدون.
٦٦. لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ط ٢، مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٤٠٢هـ.
٦٧. مجلة دراسات تربوية، السنة السادسة، العدد السادس، كلية التربية، جامعة أفريقيا العالمية، ١٤٣٩هـ.
٦٨. مجلة دعوة الحق، العدد ١٣١، ١٣٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
٦٩. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.
٧٠. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ط ٥، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ١٤٢٠هـ.
٧١. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. إبراهيم بن محمد البريكان، ط ٢، دار ابن القيم، الرياض، ١٤٣٦هـ.
٧٢. المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، خالد بن مسعود الجعيد وصاحبه، ط ١، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٨هـ.
٧٣. المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، ت: أحمد محمد شاكر، ط ١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ.
٧٤. المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، صادق سليم، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ.
٧٥. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٧٦. معارج القبول، حافظ بن أحمد الحكمي، ط ١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠هـ.
٧٧. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط ٢، المكتبة الإسلامية، تركيا.



٧٨. معجم مصطلحات الصوفية، د. عبدالمنعم الحفني، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٧٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٨٠. مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق.
٨١. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.
٨٢. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان بن علي حسن، ط٥، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ.
٨٣. المنهج المقترح لفهم المصطلح، الشريف حاتم بن عارف العوني، ط١، دار الهجرة، الرياض، ١٤١٦هـ.
٨٤. منهج أهل السنة في تدوين العقيدة إلى نهاية القرن الثالث، د. يحيى بن ناصر الحنيني، ط١، مركز الفكر المعاصر، الرياض، ١٤٣١هـ.
٨٥. النبوات، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ط١، أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٨٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين الجزري، ت: علي بن حسن عبد الحميد، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ.



## فهرس الموضوعات

المقدمة .....	٥
الوحدة الأولى: الدين واحد والشرائع متنوعة .....	٧
الوحدة الثانية: أهل السنة والجماعة .....	١٥
الوحدة الثالثة: مبادئ علم العقيدة .....	٣١
الوحدة الرابعة: مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة .....	٥١
الوحدة الخامسة: مصادر تلقي العقيدة عند المخالفين .....	٧١
الوحدة السادسة .....	٨٥
أولاً: مسائل متعلقة بمصادر العقيدة .....	٨٧
المسألة الأولى: حجية خبر الأحاد .....	٨٧
المسألة الثانية: العلاقة بين النقل والعقل .....	٩٠
المسألة الثالثة: العلاقة بين النقل والعلم التجريبي .....	٩٣
ثانياً: خصائص العقيدة الإسلامية .....	٩٩
الوحدة السابعة: تدوين علم العقيدة .....	١٠٧
الوحدة الثامنة .....	١١٩
أولاً: قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد .....	١٢١
ثانياً: منهج القرآن في الدعوة للعقيدة .....	١٢٨

- ١٤١ ..... الوحدة التاسعة
- ١٤٣ ..... أولاً: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة
- ١٥٧ ..... ثانياً: أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة
- ١٦٠ ..... فهرس المصادر والمراجع
- ١٦٦ ..... فهرس الموضوعات



978-603-04-6357-2